« يعتبر الرأسمال البشري غير المادي من أحدث المعايير المعتمدة دوليا، لقياس القيمة الإجمالية للدول ».

مقتطف من الخطاب الملكي السامي
الذي وجهه جلالته حفظه الله الى الامة، بمناسبة عيد العرش
يوم الأربعاء 2 شوّال 1435هـ الموافق لـ 30 يوليو 2014

الفهرس

علامات

الإشراقات الموسيقية الأندلسية لوجدة
مع بدر مقري
18

تمهيد

الطرب الغرناطي، خاصية للمملكة
مع محمد الأعرج
7

الطرب الغرناطي تقليد وأسلوب ينبغي إحياؤه لفائدة الجهة
مع معاذ الجامعي
9

افتتاحية

الطرب الغرناطي، مسألة عشق
محمد امباركي
المدير العام لوكالة جهة الشرق
5

تركيز

في الحاجة إلى مركز للدراسات والأبحاث الغرناطية
عَمار عبو
المدير الجهوي لقطاع الثقافة لجهة الشرق
10

الجمعية الأندلسية للطرب الغرناطي لوجدة
17

جمعية السلام لقدماء الطرب الغرناطي
25

شهادات

من الأب إلى الإبن، زهاء قرن من الطرب الغرناطي
محمد شعبان
رئيس الجمعية الأندلسية
26

جمعية أحباب الشيخ صالح
30

حياة كاملة من الولع وقريبا انتولوجيا للطرب الغرناطي
أحمد فقير
رئيس جمعية زرياب
31

الجمعية الموصلية
33

في الموسيقى كما في الطب، هناك أخلاقيات ومنهجية علمية
الدكتور طه الهدام
طبيب وفاعل جمعوي
34

جمعية زرياب، مجموعة الطرب الغرناطي لولاية وجدة
38

أكثر من نصف قرن من الحياة الثقافية الجمعوية مخصصة أساسا للغرناطي
عبد القادر الواسطي
فاعل ثقافي جمعوي
39

الجمعية الإسماعيلية للطرب الغرناطي
42

مشتل لتكوين المبدعين الجدد في مجال الطرب الغرناطي
عمر شهيد
فاعل ثقافي جمعوي ومقدم تلفزي
43

جمعية هواة الطرب الغرناطي
45

الاستثنائي يضبط حياتها الفنية، وموهبتها كامرأة تعزف على آلة إيقاع
راشا حنيني
عازفة على آلة إيقاع
ضمن أوركسترا جمعية الشيخ صالح
46

جمعية نسيم الأندلس
48

صوت استثنائي في خدمة الطرب الغرناطي، هكذا تبرز كبريات المنشدات
ثريا بلعسري
نجمة الموسيقى الغرناطية
49

جمعية ابن الخطيب للفن الأصيل لوجدة
51

أهم الآلات الموسيقية التقليدية والعصرية في الموسيقى الأندلسية
52

نوبات ومقامات الغرناطي : بناءٌ عالم
محمد الغيدي
شريك مؤسس لجمعية التواصل
المدير الفني لجمعية زرياب
56

قويدر مهدي، الصانع الأول والوحيد للآلات الموسيقية بوجدة
58

جمعية خلود النسوية
61

إضاءات

الصناعات الثقافية، حامل جيد للتنمية الجهوية
الأستاذ الدز محمد
باحث في التراث الثقافي والتنمية
جامعة محمد الأول، وجدة
62

الطرب الغرناطي، سمة تهم تسويق الصورة الجهوية
فيليب ميشيل
مستشار في التواصل
66

موسيقى، تشغيل ومقاولات
69

Oriental.ma
مدير النشر : محمد امباركي
قيادة وجمع وتشكيل المحتويات : وكالة Garden Digital والأستاذ الدز محمد
سكرتيرة التحرير : سعيدة ماهر • التصميم : TOPIC
• الترجمة إلى العربية : أبدر المريني • الإشراف على الترجمة : الكبير حنو
• رقم الإيداع القانوني : 24/07 • ISSN : في تحضير • وكالة جهة الشرق : 13، زنقة محمد عبدو، 60 000 - وجدة
الهاتف : 68 58 70 36 5 (212+) • الفاكس : 52 58 70 36 5 (212+) • الموقع : www.oriental.ma
لا تلزم الآراء المنشورة إلا أصحابها

ORIENTAL.MA Beaux Livres

سحر التراث؛
وقناعتنا بأنه إستثنائي.

www.oriental.ma

وكالة جهة الشرق

إفتتاحية

الطرب الغرناطي، مسألة عشق

يشكل الارتقاء بالمجالات الترابية وتنميتها بجهة الشرق، هدفنا الأساسي. وبلوغ ذلك يستند أيضا، ونحن نعي ذلك، على تثمين الأشكال المختلفة لتراثها اللامادي. فإلى جانب المشاريع الكبرى والصغرى، يجب تحسين صورتنا... صورة أجود لجهة تتقوى دوما بفضل المبادرات والأنشطة الملكية السامية. فالعمل على الصورة هو استثمار كامل ينبغي أن يصاحب الطموحات الاقتصادية الكبرى للجهة وانعكاساتها على السكان. وبالتالي، فإن وكالة جهة الشرق خصصت على الدوام جزءا أساسيا من أنشطتها لسمعة وصورة الجهة... لصالح الجهة نفسها ولفائدة السكان، طبعا، وأيضا من أجل إشعاعها داخل المملكة وعلى الصعيد العالمي. وفي الحصيلة، نحن نبني جاذبية جديدة من أجل مواكبة أفضل للتنافسية.

هذه المقاربة، السهلة والبسيطة أصلا، تمارس بصورة ضعيفة، لاعتبارها مكلفة. سهلة، لأن تراثنا حي وغني... لكن أحيانا غير معروف. وهكذا، فإن الوكالة تدعم منذ مدة طويلة التعبيرات الثقافية الأصيلة والموهوبة، كالفنون التشكيلية. وعلى صعيد الموسيقى، فإن العدد 16 من هذه المجلة، والذي صدر بمناسبة الذكرى العاشرة للمهرجان الدولي للراي لوجدة، سنة 2015، خصص بأكمله لموسيقى الراي. نعم، فنانونا يتم الترويج لهم عالميا ويحملون معهم هوية جهة الشرق.

واليوم جاء دور الطرب الغرناطي، الذي يتم تكريمه هنا في ظروف استثنائية، لأن مدينة وجدة هي «عاصمة الثقافة العربية» خلال سنة 2018، بعد انتخابها بالإجماع في إطار برنامج العواصم الثقافية لليونسكو. إنها المدينة المغربية الثانية التي تحظى بهذا الشرف بعد الرباط سنة 2003. وهي تأتي بعد مدينة الأقصر المصرية، المدينة «ذات الألف شمس». وقد ساهم نجاح الدورة الأولى لـ «آداب مغاربية»، المعرض المغاربي للكتاب، دون شك، في هذا القرار.

طربنا الغرناطي العزيز يحظى هنا بالتشريف والتكريم. على امتداد ثمانية قرون من التاريخ، اغتنت هذه الموسيقى بخصوصيات وَجْدية، تميزها عن نظيراتها بسلا وفاس أو تطوان، وأيضا عن أشكال تلمسان والجزائر العاصمة أو وهران. جامعيون وأساتذة كبار سيحكون على أعمدتنا تاريخ هذا الطرب المتميز. إنه قدر غريب لهذه الموسيقى العالمة، المتفردة : القادمة من غرناطة الأندلسية، والتي تختلف عن أختها «الآلة» بخصوصية نوباتها. ففي الخارج، تحتفظ بأتباعها، تطعم ويتم إحياؤها من طرف المهاجرين، وخاصة اليهود المغاربة، الذين مكنوها من عبور المحيطات ! والطرب الغرناطي يرمز هكذا انفتاحنا على العالم ويظهر أن ثقافتنا، بتأثيراتها المتعددة، لها أيضا امتداد كوني.

هذه المقاربة تذكرنا بقوة الرؤية المتبصرة لخطاب العرش ليوليوز 2014، الذي شدد فيه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، على الأهمية الأساسية للتراث اللامادي. وهي تؤكد أحد المحاور القوية للنص المؤسس الذي تمثله المبادرة الملكية لتنمية الجهة الشرقية. نعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتطلب الارتقاء بالثقافة، وبجهة الشرق، أبواب امتيازنا تظم الطرب الغرناطي.

إن هذا العدد يتطرق لتاريخ هذا الفن، يفسر فحواه، يثمن أصالته، يقدم أيضا الشخصيات الكبيرة التي صنعت أمجاده والساهرين عليه اليوم. كما أنه لا يُخفي نقط الضعف التي تهدد هذا الفن الأصيل وتفسر أحيانا قلة انتشاره. وإذا كانت المعركة اليوم هي حقا معركة البقاء والاستمرارية، فإن هذا العدد سيساعد على المحافظة على هذا الطرب، لأنه سيعرف كيف يصل الأجيال الشابة وتحسيسها وتوجيهها نحو انخراط حقيقي. وكما كتب هنا أستاذ كبير : «الطرب الغرناطي، مسألة عشق».

في هذا العدد، كل واحد منا سيجد ضالته من حيث المعلومات المتعلقة بهذا الفن وهي دعوة لاقتحام هذا الحقل الفني الخصب، الحاضر في صلب هويتنا.

محمد امباركي
المدير العام لوكالة جهة الشرق

ORIENTAL .MA Beaux Livres

سـحـر الـتـراث؛
وقـنـاعـتـنـا بأنـه إسـتـثـنـائي.

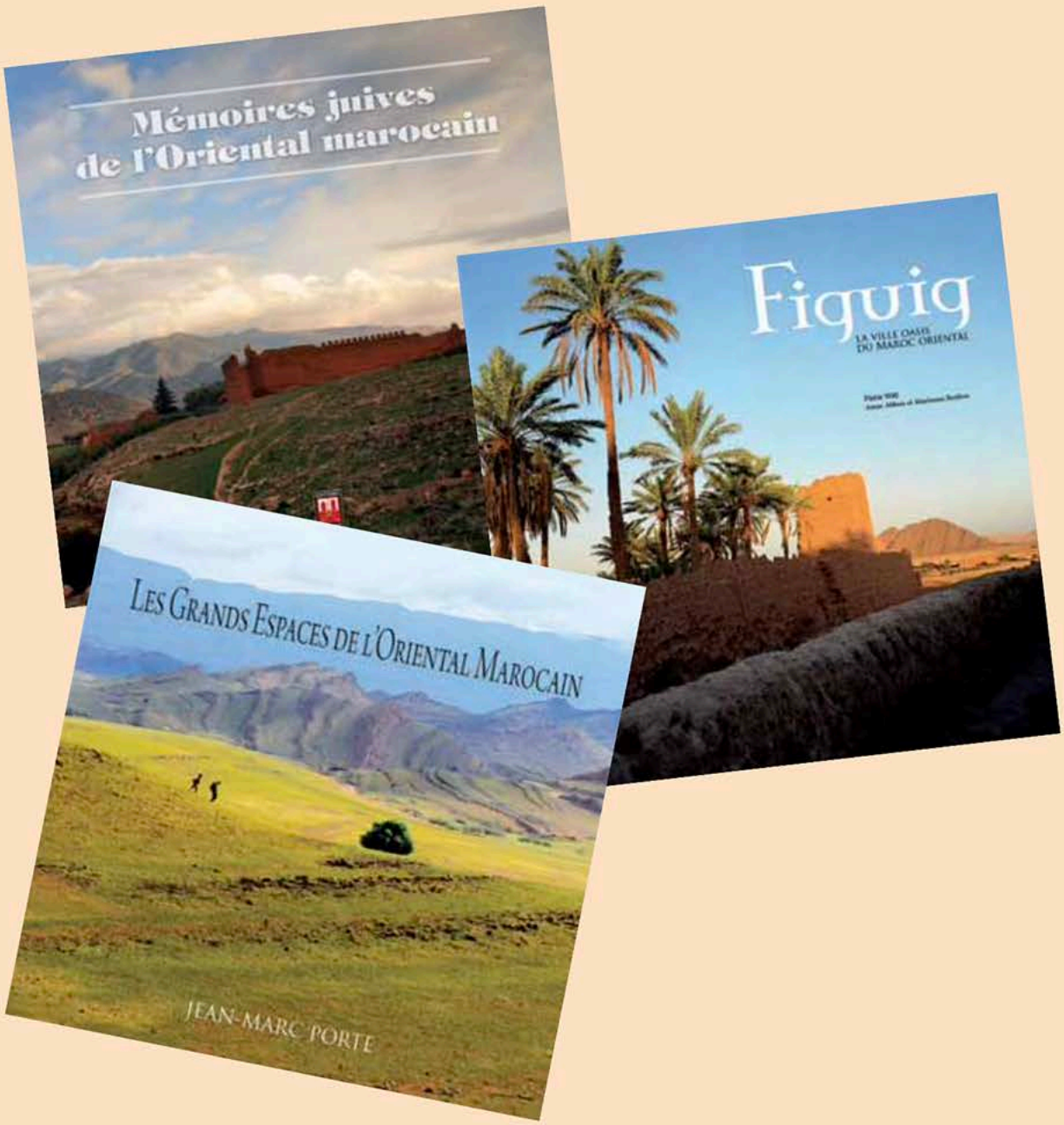

www.oriental.ma

وكالة جهة الشرق

تمهيد

الطرب الغرناطي، خاصية للمملكة

تأتي مبادرة هذه المجلة بتخصيص هذا العدد للطرب الغرناطي في وقت أعطت فيه وزارة الثقافة والاتصال المغربية ومكتب اليونسكو للمنطقة المغاربية الانطلاقة لمشروع مشترك نموذجي موضوعه : «الموسيقى كمحرك للتنمية المستدامة بالمغرب». وهذا لا غرْو تَصَادفُ مع مناسبات سعيدة.

هذا المشروع يهم سنتي 2018-2019، وبالخصوص 2018 وهي بالضبط السنة التي تم فيها اختيار وجدة عاصمة الثقافة العربية، وهو تشريف له أهميته واعتراف بالغنى التراثي الحقيقي للمدينة. وجدة مدينة غنية بموسيقاها، على غرار كل جهة الشرق، التي تزخر بعدد من الأنماط الموسيقية المتميزة والفريدة التي ترمز للمجالات الترابية المختلفة. لذلك لا نستغرب تنظيم العديد من المهرجانات والملتقيات الفنية المتنوعة والتي تحافظ على هذا الموروث الموسيقي وتحفظه من التلاشي والابتذال. نحن بالمغرب، نحب تراثنا الموسيقي الحي، ولعل أحسن مؤشر على الوضع الصحي والجيد هو أن نرى هذا الموروث حاضرا في الحفلات والمناسبات. لذا، فإن وزارة الثقافة والاتصال ووكالة جهة الشرق غالبا ما يوحدان جهودهما لدعم هذه التظاهرات.

بالطبع، يهيمن تعبيران موسيقيان بجهة الشرق ولهما إشعاعهما العالمي وصداهما القوي هما : فن الراي والطرب الغرناطي لا سبيل للمقارنة بينهما، فموسيقى الراي تكونت منذ قرابة قرن، انطلاقا من تأثير أشكال موسيقية شعبية ومجالات مختلفة. منذ أزيد من نصف قرن، بينما الطرب الغرناطي ترجع أصوله إلى زهاء ثمانية قرون من التاريخ كما يشير إلى ذلك العنوان المختار لهذا العدد من المجلة : «ثمانية قرون من موسيقى أندلسية قادمة من غرناطة»، هذا الطرب أخذ بجهة الشرق طابعا خاصا ومميزا يؤكده العديد من ممارسيه وهواته.

لقد ساهمت وزارة الثقافة والاتصال في إنجاز انتولوجيات مرجعية لأنواع الموسيقى المغربية. ومن بين هذه الإصدارات الموسيقية، احتل الطرب الغرناطي بالطبع موقعا متميزا. لكن الأسلوب الغرناطي يمنح امتيازا إضافيا للإشعاع الثقافي للمملكة : فالمولوعون الأجانب اللذين يتذوقونه كثيرون، والهواة الشغوفون والممارسون أيضا. تُقدم فرق المنطقة الشرقية عروضا ناجحة على الصعيد العالمي وخاصة بإسبانيا وفرنسا، وفي دول الشرق الأوسط وبالجزائر، حيث تُمارس هذه الموسيقى كذلك، وخاصة بتلمسان التي لها أيضا أساتذتها الكبار، كما هو الشأن بوجدة.

هذا إذا فن مشترك يفخر به المغرب والذي ينبئ بوحدة ثقافية مغاربية والتي تتعزز وتتنامى باستمرار. وهذا عامل إضافي يجعل وزارة الثقافة والاتصال تدعم الطرب الغرناطي وتعمل على تثمينه ضمن الأشكال الموسيقية المغربية : فهو رابط مستمر مع جذوره الأندلسية، وموروث مشترك مع دول مجاورة جغرافيا أو ثقافيا، وصلة وصل مع كل الذين يكنون التقدير ويستحسنون ذخائر وكنوز الثقافة المغربية بكل تجلياتها وتعابيرها.

محمد الأعرج
وزير الثقافة والاتصال

ORIENTAL .MA Beaux Livres

سحر التراث؛
وقناعتنا بأنه إستثنائي.

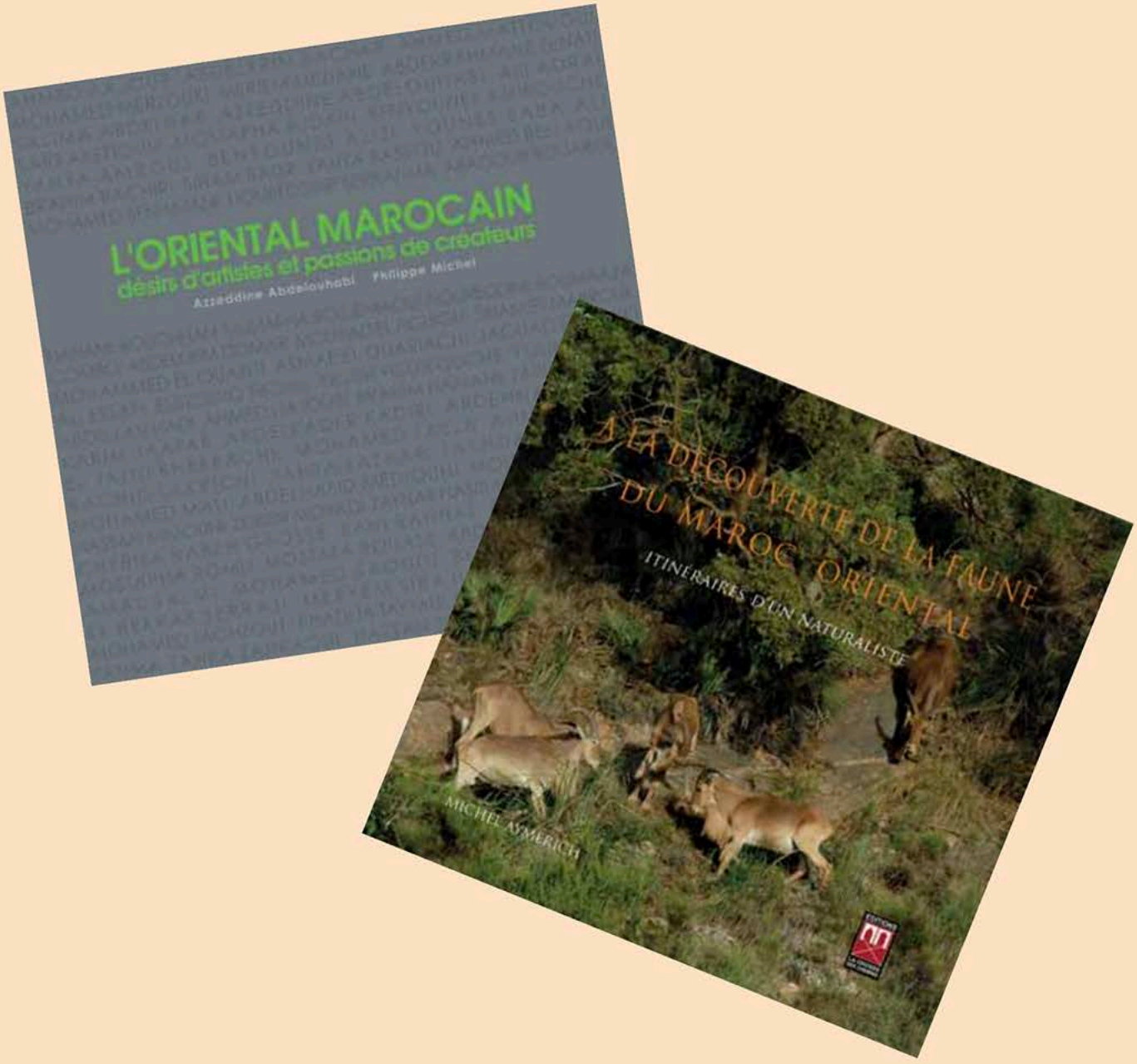

www.oriental.ma

وكالة جهة الشرق

تـمـهـيـد

الطرب الغرناطي تقليد وأسلوب ينبغي إحياؤه لـفائدة الجهة

أقولها بكل صدق. أنا شغوف بالموسيقى العربية الأندلسية، منذ البداية، وهو تقليد أسري أيضا بالنسبة لي. وبالتالي، لن أخفف من اعتزازي بها، سيما بوجدة. بل بالعكس، إن استقراري بجهة الشرق مكنني من التعرف على هذا التيار التاريخي، هذا الأسلوب الغرناطي الذي يختلف على موسيقى الآلة ويربطنا بكل وضوح بجيراننا، بغرناطة كما بتلمسان. أبعد من الحدود، الأساتذة يتنافسون إبداعا ومهارة ويعرفون ويقدرون بعضهم البعض.
إن أوروبا - ومنها الأندلس طبعا - والعالم العربي وحتى كندا تهتم بالطرب الغرناطي، وتستضيف أجواقنا ويبرزون لنا أن هناك عبر العالم جمهورا من العشاق على علم بهذه الموسيقى.
فماذا يحتاجه إذا هذا الطرب لتأمين نموه والمزيد من الشهرة ؟

في البداية ينبغي التأكد من حفظ المعارف والمهارات والوثائق والآلات القديمة. وهناك جمعيات بجهة الشرق تهتم بهذه الجوانب منذ مدة طويلة وتقوم بعمل متميز. ووجدة بالمناسبة، كما يقال، المدينة المغربية التي تتوفر على أكبر عدد من فرق الموسيقى العربية الأندلسية. فلماذا لا تتعود هذه الفرق على العمل مشتركة ؟ سيكون مدعاة للفخر لو استطاعت المدينة، مرة في السنة، جمع هذه الأجواق في حفل موسيقي كبير. وسوف تكون فوائد هذه العملية على الطرب الغرناطي جمة.
ثم، ينبغي الاضطلاع بالتكوين والتدرج، وكل ما يمكن المواهب الجديدة، عل غرار الزهور الجديدة، أن تتفتق في أحضان الأساتذة الكبار. إني على دراية بأن بعض الوسائل تخص هذا المستوى، خاصة فيما يتعلق بالأماكن المناسبة للتمارين، وهذا مشكل يجب إيجاد حل له.

وأخيرا، ينبغي وضع وتطبيق مخطط عمل يحمل التنمية. فجهة الشرق تمتلك حاليا مهرجانها السنوي المعروف لدى هواة هذا الطرب. وبمنحه صدى أكبر، فإن الغرناطي بإمكانه أن يكسب شغوفين جدد. وبالتأكيد، فإن الوسائل والأدوات الرقمية خاصة هي التي ستمكن الغرناطي من كسب فوائد هامة على صعيد الانتشار : تطبيقات على الهواتف وفديوهات على الشبكة وإحداث موقع خاص، محين ومطعم بالخصوص للتفاعل مع الجماهير المعنية، مهما كان مستواها المعرفي وانخراطها.
في الوقت الذي تنتقل فيه إفريقيا إلى الرقمي وتسعى إلى إنجاح هذا التحول، كما ذكر بذلك صاحب الجلالة، نصره الله، فإن الطرب الغرناطي عليه أن يستغل كل الوسائل المتاحة لترويجه الإعلامي. وعلى هذا الصعيد، فإن، الكثير ما زال لم يبذل، بالضبط في ملتقى التكنولوجيات الجديدة ورؤية أخرى بارزة لعاهلنا، حفظه الله : الارتقاء بالمجالات الترابية عبر تثمين أشكال تراثها اللامادي.

في سنة 2018 هذه، التي تكرس وجدة «عاصمة الثقافة العربية»، فإن هذا العدد الذي يعنى بالغرناطي يأتي في أوانه للمساهمة في إعادة تعبئة الفنانين، ومحبي الموسيقى والهواة المستنيرين، وكذا أولئك الذين بمجرد تحسيسهم، يريدون الانخراط بشكل أكبر ومعرفة المزيد بالأساس.
وفي موضوع مثل هذا، سأكون دائما إلى جانب حاملي مبادرات المستقبل وحريص على دعم النجاح. لقد اجتاز الغرناطي قرونا، وعلينا أن نراهن جميعا على العمل لتمكينه من عبور قرون أخرى !

معاذ الجامعي
والي جهة الشرق
عامل عمالة وجدة-أنجاد

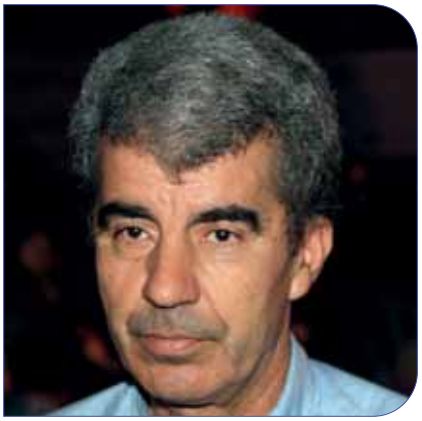

في الحاجة إلى مركز للدراسات والأبحاث الغرناطية

عَمار عبو
المدير الجهوي لقطاع الثقافة
لجهة الشرق

يضع الكاتب في سياقه التاريخي تطور علاقة المؤسسات بالنمط الغرناطي لوجدة، منذ أن تكرس الوعي بأهميته، وتجسد بالتدابير الأولى لدعم تطوره، إلى يومنا هذا. في الواقع، يبدو لزاما أخذ منعطف لكسر دائرة نوع من السرية العالمة وضمان الاستمرارية بتعبئة جماهير عريضة. إن الحديث يستند إلى مشروع معلق بسبب غياب الموارد. فهل سيتم إنعاشه من جديد ؟

يرتبط الطرب الغرناطي في المغرب بالتراث المتنوع الذي رحل من الأندلس في اتجاه بلدان شمال إفريقيا وهو يشكل مدرسة موسيقية قائمة بذاتها. الطرب الغرناطي كفن رفيع يربط مدينة وجدة الألفية بحضارة الأندلس، كما يربطها أيضا بمحيطها الجهوي المغاربي كحاضرة من الحواضر المغاربية التي احتفظت على هذا التراث وطبعته بخصوصيات محلية.

الدور الحاسم للجمعيات

عمل الوجديون على الحفاظ على هذا التراث ونشره وتطويره وكونوا من أجل ذلك جمعيات ولعل أقدمها تأسست سنة 1921، هدفت هذه الجمعيات إلى النهوض بهذا التراث الفني الأصيل وصيانته ونشره بين الشباب. ومن أهدافها الأساسية التي حددتها لنفسها جل هذه الجمعيات النهوض بالموسيقى الأندلسية وكل ما يتصل بها من فنون وآداب وصيانة التراث الأندلسي والعمل على تطويره ونشره، وضمان استمراريته من خلال البحث عن مواهب جديدة وتكوينها أدبيا وفنيا. وقد استطاعت هذه الجمعيات بدعم من المولوعين بهذا التراث وكذلك من المؤسسات العمومية والخاصة القيام بأنشطة متعددة ومتنوعة تختلف من جمعية إلى أخرى.

بعض الجمعيات لها مشاريع متميزة في التكوين والتأطير بهدف المساهمة في صيانة هذا الموروث الثقافي وإشاعة تداوله بسلاسة لدى الشباب والأطفال.

اجتماع العديد من الأساتذة الكبار للطرب الغرناطي (سنوات التسعينات)

جمعيات مهتمة فقط بالفن الغرناطي	الرئيس
الجمعية الأندلسية للطرب والمسرح والآداب	محمد شعبان
جمعية السلام لقدماء الطرب الغرناطي	فوزي مهدي
جمعية أحباب الشيخ صالح للطرب الغرناطي	نصر الدين شعبان
الجمعية الموصلية للطرب الغرناطي	بدر الدين بلعياشي
الجمعية الغرناطية زرياب	أحمد فقير
الجمعية الإسماعيلية للطرب الغرناطي	(سيتم انتخابه)
جمعية هواة الطرب الغرناطي	حسن بلعسري
جمعية نسيم الأندلس للطرب الغرناطي	عمر شهيد
جمعية ابن الخطيب للفن الأصيل بوجدة	محمد لزعر
جمعية خلود للطرب الغرناطي	غزلان سلامي
جمعية رياض غرناطة	نجيب الشرقاوي
جمعية طرب الموسيقى الغرناطية	محسن الزموري
جمعية وجدة الألفية للثقافة والتنمية	خولة بنزيان
جمعية أجيال للطرب الغرناطي	إحسان العُماري
جمعية التلاقي للموسيقى والتراث الأندلس	جمال حمادة
جمعيات تشمل أنشطتها الفن الغرناطي	
مانيكس	محمد إيموناشن
لاسيكادا	عمر الزروقي
الكندي	رشيد الماحي

اهتمت جمعيات أخرى بتكريم الرواد الذين أسهموا في المحافظة واستمرار هذا الفن العريق، وذلك في إطار مجهودات تسعى إلى توثيق الذاكرة الخصبة لأصالة مدينة وجدة وعراقتها. هذه الجمعيات ترسخت محليا وتميز نشاطها في المشاركة في مختلف التظاهرات المحلية والوطنية والدولية، ومثلت المغرب تمثيلا مشرفا في مجموعة من التظاهرات الدولية بالجزائر، البحرين، سوريا، الأردن، اليونان، اسبانيا، هولاندا، البرتغال وفرنسا. كما أن بعض الجمعيات استطاعت أن تؤسس لتظاهرة فنية سنوية بتنظيم مهرجانات وسهرات فنية كبرى في المناسبات الدينية والوطنية.

في إطار هذه المجهودات، استطاعت بعض الجمعيات أن تساهم في توثيق هذا الطرب الأصيل وإنجاز وإصدار دراسات للتعريف به، كما ساهمت في إنجاز أنطولوجية للطرب الغرناطي. تشجيعا لهذا الطرب وسعيا للحفاظ عليه، أنجزت وزارة الثقافة، بالتعاون مع شركاء، أنطولوجية للطرب الغرناطي.

إحداث مهرجان الطرب الغرناطي لوجدة، مرحلة حاسمة لتنمية هذا الطرب وديمومته

أسست لمهرجان سنوي قار، مهرجان الطرب الغرناطي، للاحتفاء به كتراث موسيقي مغربي زاخر بالعطاء وأحد أبرز الفنون الأصيلة التي يتميز بها التراث المغربي، وهو تراث لا يشمل الجانب الغنائي فحسب، بل يتعداه إلى جوانب متعددة من الحضارة المغربية من خلال تعدد ألحانه وأنغامه وإيقاعاته واستعماله لآلات متميزة إضافة إلى أشعاره البديعة وكلماته الرفيعة وأزياء ممارسيه.

عبأ هذا المهرجان منذ البداية، بالإضافة إلى وزارة الثقافة، شركاء آخرين ضمنوا استمراره وكان أول الشركاء جمعية انكاد للمغرب الشرقي وجماعة وجدة وولاية جهة الشرق، ثم جمعية وجدة فنون والتعاون الإسباني ومجلس العمالة بالإضافة إلى القطاع الخاص والجمعيات العاملة في الطرب الغرناطي والمهتمة به.

يعد هذا المهرجان أحد أهم المهرجانات التراثية الكبرى ويمثل مناسبة سنوية يقبل عليها عشاق الطرب الأصيل الذي ينهل قواعده من إرث غرناطة وغيرها من الممالك العربية التي صنعت مجد الأندلس قبل قرون عديدة. أضحى المهرجان موعدا سنويا يهدف للحفاظ ولإحياء تراث الطرب الغرناطي ويندرج في إطار استراتيجية حماية التراث اللامادي وتثمين وتقوية الرأسمال الرمزي للجهة، خدمة للتنمية المستدامة.

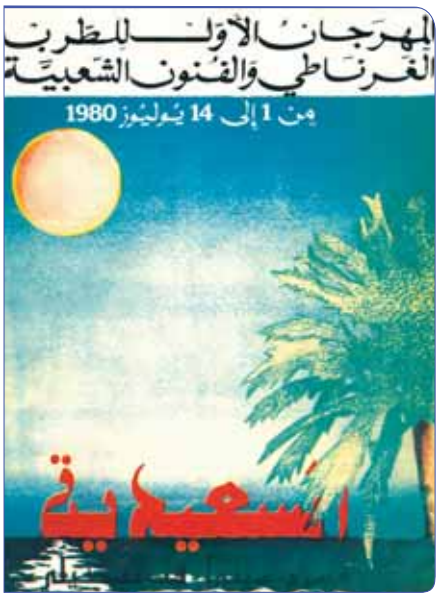

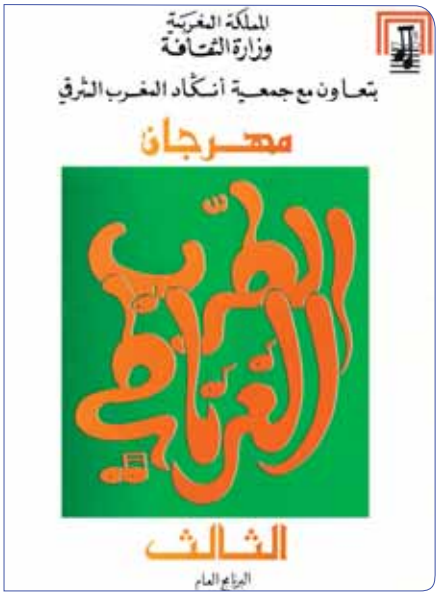

يهدف هذا المهرجان الذي تنفرد مدينة وجدة بتنظيمه والذي يعرف مشاركة فرق تهتم بهذا الموروث الثقافي إلى دعم مكانة تراث الطرب الغرناطي الأصيل ورجالاته في المشهد الثقافي الوطني وترسيخ تنوع الثقافة المغربية وتعدد مكوناتها وروافدها وإلى تحقيق الإشعاع الثقافي والفني لمدينة وجدة والتعريف بغناها التراثي وبدورها الفني الرائد في الحفاظ على هذا الطرب الأصيل.

بالموازاة مع السهرات الفنية، تنظم خلال المهرجان ندوات فكرية بمشاركة أساتذة متخصصين في مجال التراث الغرناطي. كما يتم تكريم رواد ورموز الطرب الغرناطي والاحتفاء بهم وتشجيع الجيل الصاعد لضمان استمراره وذلك بتنظيم مسابقات في العزف والإنشاد.

وكالة جهة الشرق تجعل من الغرناطي إحدى أدوات التنمية الجهوية المستدامة

مع تأسيس وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لعمالة وأقاليم الجهة الشرقية للمملكة سنة 2006 بموجب القانون رقم 12-05، كمؤسسة عمومية تعنى بدعم الفاعلين الوطنيين والمحليين قصد إنجاز برامج تنموية بالأقاليم الشرقية للمملكة، سيتعزز هذا المهرجان وتتدعم الجمعيات المهتمة به. إذ أن الوكالة في إطار المهام الموكولة لها أصبحت شريكا أساسيا لتنظيم مهرجان الطرب الغرناطي وعملت على دعم أنشطة الجمعيات وتظاهراتها السنوية، كما شجعت تنظيم المهرجانات ومشاركة الفرق الغرناطية في التظاهرات الوطنية والدولية.

في مجال التعريف بالتراث الغرناطي ونشره والحفاظ عليه، شجعت وكالة جهة الشرق البحث في مجال التراث الغرناطي وساهمت في تمويل دراسات حول هذا التراث.

عملت وكالة جهة الشرق أيضا على ربط علاقة وطيدة مع المؤسسات والهيئات المهتمة بالتراث الغرناطي خاصة مع مؤسسة الثقافات الثلاث لحوض البحر الأبيض المتوسط ومكنت الجمعيات المهتمة بهذا التراث من الحضور في تظاهرات وملتقيات دولية.

إن المجهودات التي بذلت وتبذل في مجال النهوض بهذا التراث الفني الأصيل وصيانته وتطويره ونشره وضمان استمراريته، مهمة، إلا أنها تبقى دون مستوى المطلوب نظرا لمحدوديتها وضعف نتائجها وكذلك لعدم مأسستها مما يجعلنا نتساءل ألسنا في حاجة إلى إحداث مؤسسة متخصصة تعنى بالتراث الغرناطي بكل مكوناته.

إحداث مركز متخصص، مشروع مجدد وضامن للاستدامة

في 04 يوليوز 1987، تم الإعلان من طرف السيد وزير الشؤون الثقافية السيد محمد بنعيسى عن افتتاح مهرجان الطرب الغرناطي بمدينة وجدة، كتظاهرة سنوية قارة تعنى بدعم وتطوير والحفاظ على التراث الغرناطي.

توج هذا الافتتاح بفتح «مركز الدراسات والأبحاث الغرناطية بوجدة» وكان على المهتمين بالتراث الغرناطي أن ينتظروا إلى 08 شتنبر 1993 ليصدر المرسوم عدد 02-93-380 نشر بالجريدة الرسمية عدد 4221 بتاريخ 22 سبتمبر 1993 المحدث لـ «مركز الدراسات والأبحاث الغرناطية بوجدة» وذلك في إطار مساعي السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون الثقافية للحفاظ على التراث الغرناطي.

حددت لمركز الدراسات والأبحاث الغرناطية مهام تدخل في إطار الحفاظ على التراث اللامادي الذي يمثله التراث الغرناطي بمفهومه الواسع، هذه المهام تمثلت في ما يلي :

• جمع التراث الموسيقي الغرناطي وإحصاء نوباته والعمل على توثيقه وتسجيله ونشره بطرق علمية تساير روح العصر مع المحافظة على خصوصياته وأصالته ؛
• تشجيع الاهتمام بالبحث والدراسة في خصوصيات مختلف فنون ومعارف التراث الغرناطي ؛
• دراسة امتداد أثره تاريخيا وجغرافيا في السلوك والمدارك ؛
• ترجمة المعطيات والوثائق المرتبطة بهذا التراث...

إذا كان الهدف الأول الذي وضع للمركز يركز على التراث الموسيقي الغرناطي، فإن الأهداف الأخرى التي أنشئ من أجلها تتشعب لتشمل مجالات التراث الغرناطي بكل تشعباتها لتشمل فضاءات أوسع وحقبا أطول مما يبين الانتظارات الكبرى التي كانت وراء إحداث هذه المؤسسة التي لم يكتب لها الاستمرار.
كما أن النص المحدث لهذا المركز حدد آليات ووسائل عمله بل وضع له هياكل تنظيمية لتشمل بالإضافة إلى المدير ثلاثة مصالح :

• مصلحة الاقتناء والمعالجة ؛
• مصلحة الخدمات الإعلامية ؛
• مصلحة البحث والتوثيق.

اتخذ المركز من الفضاء التراثي دار السبتي مقرا له ورغم طموح وإرادة إدارته، إلا أن عدم إتمام هيكلته وعدم تمكينه من الموارد المالية والبشرية جعل دوره محدودا بل انتهى به الأمر الى الإغلاق دون قرار. أنجز المركز عدة أعمال تتمثل في تجميعه لمجموعة من الوثائق والدراسات والصور المرتبطة بالتراث الغرناطي ومحاولة تقنين المشاركة في مهرجان الطرب الغرناطي، إلا أن أهم منجزاته كانت هي انفتاحه على الجامعة وعلى مؤسسات البحث العلمي وإنجاز مجموعة من الدراسات وتنظيم عدة ملتقيات أهمها ندوة «البحث في التراث الغرناطي حصيلة وآفاق» التي نظمها المركز يومي 07 و08 مارس 1997، بتعاون مع جامعة محمد الأول وبمشاركة مجموعة من الباحثين المتخصصين في التراث الغرناطي والأندلسي. هذه الندوة التي خلصت إلى مجموعة من التوصيات لعل أهمها :

• ضرورة ربط التراث الغرناطي بإطاره العام وتجنب اجتثاث هذا اللون الموسيقي من جذوره ؛
• استثمار الوسائل المعلوماتية الجديدة التي تساعد على توفير الوقت والجهد وتيسير عملية التدوين من الناحية التقنية ؛
• السعي إلى توسيع اختصاصات واهتمامات مركز الدراسات والأبحاث الغرناطية ؛

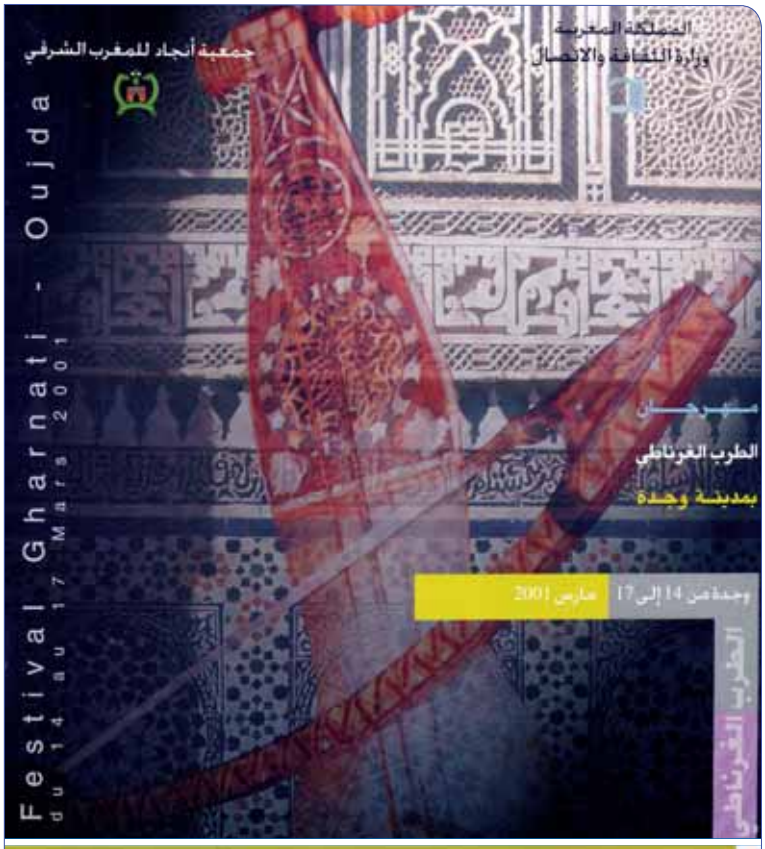

أحدث مهرجان الطرب الغرناطي لوجدة سنة 1987 من طرف وزارة الثقافة وفرض نفسه على جماهير عشاق وهواة هذه الموسيقى.
في سنة 2018، سيعرف هذا المهرجان دورته السابعة والعشرين

• التعجيل بدعم مركز الدراسات والأبحاث الغرناطية بالوسائل المادية والتقنية الكافية.

إلا أن المركز لم تتح له الفرصة ولا الإمكانيات للقيام بالدور الذي حدد له وبالخصوص ما يتعلق بالتمكين من تعليم مستمر وتكوين موسيقي للأجيال الشابة وفتح شعب موسيقية أندلسية.
كما أن الارتباط بهذه الموسيقى ومحدوديته وانحصاره في مجموعة من العائلات والولوعين يرتبط بالأساس بالتحولات المجتمعية والميل الكبير إلى ما هو جديد وإلى الأغنية الخفيفة الشبابية السريعة الإيقاع والمدغدغة للعواطف مما جعل مسؤولية الحفاظ على هذا التراث مسؤولية صعبة.

يشكل الحفاظ على التراث الموسيقي هاجسا في كل الثقافات، فإن أي لحن أو مقطوعة موسيقية يتم إغفالها أو نسيانها أو تجاهل تدوينها أو نقلها بوسائل أخرى لن نتمكن من استرجاعها مهما بذل من جهد وهذا ما وقع لمجموعة من الأنماط الموسيقية التي تعرضت للزوال أو للتحريف.

إن عدم الاعتماد على التدوين والتسجيل والاكتفاء بالجانب الشفوي والنقل بالممارسة من الشيخ إلى المتعلم، يجعل من عملية الحفاظ على هذا التراث مهمة صعبة ويجعله باستمرار عرضة للتأثر بأنماط أخرى مما يجعله أحيانا يبتعد عن هذا التراث بالكامل.

إننا في حاجة إلى حماية التراث الموسيقي الغرناطي وكذلك آلاته وأساليبه، وذلك لن يكون ممكنا إلا في إطار مشروع متكامل تتكلف به مؤسسة تهتم بتوثيق، بجرد وإحصاء الفنانين الحاملين لهذا التراث والقيام بتسجيلات صوتية ومرئية بالإضافة إلى نبذة عن حياة كل حامل لهذا التراث.

كما علينا البحث عن الآلات التقليدية وجردها ووصفها وتصويرها وتسجيل موسيقاها وإحداث معرض قار أو متحف لتثمين التراث الغرناطي وآلاته والعاملين به، إضافة إلى جرد العازفين وتسجيلهم على صعيد المدينة وخارجها.

يتوجب كذلك وضع قاعدة للمعطيات خاص بالمولوعين وتنظيمهم لدعم هذا الطرب ولحمايته، لأن هؤلاء الولوعين هم الذين حافظوا عليه وشجعوه ونقلوه وساهموا في انتشاره. أليس ذلك داع من دواعي إعادة فتح مركز الدراسات والأبحاث الغرناطية وتمكينه من الموارد المادية والبشرية ليقوم بمهامه أحسن قيام ؟ قبل الإجابة على هذا السؤال، سؤال آخر يطرح نفسه وبإلحاح : هل نحن في حاجة إلى

تأصيل وتجميع هذا التراث والحفاظ عليه كما ورثناه، مع العلم أن عدة تغييرات قد طالته مع مرور الزمن بفعل النقل الشفوي وبفعل دخول تأثيرات جديدة أم نتجه إلى صياغة أنماط وقوالب جديدة تفتح حيزا للخلق والإبداع ؟

إن هامش الإبداع هذا كان حاضرا منذ زمن بعيد لكون الطرب الغرناطي انتقل عن طريق التعلم والممارسة من المعلم أو الشيخ إلى المتعلم مما تترتب عنه اختلافات طفيفة من شيخ إلى آخر بل أن هذا الاختلاف شمل إدخال آلات جديدة. هذا دون إغفال ضرورة فسح المجال للإبداع لأنه لولا فسح هذا المجال لما كان هناك تراثا غرناطيا ولما تمكن زرياب ولا ابن باجة أو غيرهم من خلق مدارس موسيقية مختلفة عن المدارس التي كانت سائدة في الشرق، ولما تنوعت الموسيقى والغناء في الأندلس نفسها مما فسح المجال لوجود عدة مدارس : مدرسة اشبيلية ومدرسة قرطبة ومدرسة بلنسية ثم مدرسة غرناطة. هذه المدارس التي انتقلت إلى شمال إفريقيا بانتقال سكان الأندلس ناقلين معهم عاداتهم وتقاليدهم مما يطرح إشكالا مرتبطا بهذا التراث وتشعبه وكونه لا ينحصر في الموسيقى والغناء فقط بل يشمل المعمار واللباس وفنون الطبخ والعادات والتقاليد. كل هذا يؤكد الحاجة إلى مؤسسة تكون مهمتها الوحيدة هي حماية هذا التراث وتثمينه. ولولا هذا الهامش الذي ترك للخلق والإبداع لما تعددت المدارس التي أفرزها انتقال التراث الأندلسي إلى شمال إفريقيا ولوجدنا مدرسة واحدة بدل ثلاثة مدارس هي الطرب الغرناطي وفن المالوف وطرب الآلة.

إن ما يميز المغرب عامة وجهة الشرق خاصة هو الغنى الحضاري والتنوع الإثني والعرقي، مما انعكس على الجانب الفني إذ تتميز جهة الشرق بتواجد مجموعة متنوعة ومتميزة من الألوان الموسيقية والغنائية التي تعد ذخيرة تراثية هامة. وما يميز هذا التراث في جهة الشرق كون جزء منه له بعد مغاربي بل يتجاوز البعد المغاربي إلى الفضاء المتوسطي.

في السنة الماضية، احتد النقاش ولا زال بين مجموعة من الفاعلين في المجال الفني والتراثي حول من له الحق في تقديم ملف طلب إدراج فن الراي ضمن قائمة التراث اللامادي للإنسانية لليونسكو، مع العلم أن هذا الفن وغيره من الفنون سواء في مجال الطبخ أو الأزياء تعتبر تراثا مغاربيا مشتركا، نفس الشيء بالنسبة لبعض الطقوس والعادات في البلدان الثلاث.
كل هذه الفنون والعادات تؤكد التاريخ المشترك للبلدان المغاربية ويجب أن تكون عامل تجميع وتوحيد لا عامل تفرقة ونزاع، وهذا ما تم تجاوزه في ملف التراث الأندلسي الغرناطي.

إن التراث الغرناطي الأندلسي جزء من التاريخ المشترك المغاربي الأوروبي، وهو نوع موسيقي يجسد جزءا من تاريخ الأندلس وعنصرا رمزيا مهما للتراث الفني بمفهومه الواسع تتقاسمه البلدان المغاربية (المغرب، الجزائر وتونس) واسبانيا.

في هذا الإطار، قدمت «مؤسسة الثقافات الثلاث لحوض البحر الابيض المتوسط»، بدعم من مجموعة من المؤسسات والهيئات مشروعا لتسجيل الموسيقى الأندلسية في قائمة التراث اللامادي للإنسانية لليونسكو. ولهذا المشروع ما يبرره في هذا العالم الذي يسوده الإقصاء والعنف والإرهاب، إذ أصبحنا أكثر من ذي قبل في حاجة إلى مجتمع أندلسي، مجتمع تحكمه أواصر التعايش والتساكن التي طبعت العلاقة بين الديانات الثلاث : الإسلام والمسيحية واليهودية خلال مرحلة الأندلس.

كما أن المشروع الذي تقدمت به «مؤسسة الثقافات الثلاث لحوض البحر الأبيض المتوسط» يهدف إلى تقوية العلاقات بين ممارسي الموسيقى الأندلسية في البلدان المعنية وخلق إطار ملائم للحوار والتعايش والسلام.

إن المجهودات التي بذلت سواء كانت فردية أو حكومية أو من طرف جمعيات في مجال التدوين الموسيقي والتسجيل الصوتي والمرئي لوقاية التراث الغرناطي من الضياع والتشويه مهمة رغم محدوديتها، إلا أنها لن تكتمل إلا عن طريق :

• إعداد وسائل ومواد تربوية للتمكين من ولوج هذه الموسيقى التراثية إلى المعاهد الجهوية للموسيقى وتدريسها ضمن برامجها ؛
• التعجيل بفتح الشعب التراثية في المعاهد الجهوية للموسيقى والفنون الكوريغرافية ودعمها بالأطر التقنية والتربوية وتبسيط مسطرة التعاقد مع شيوخ الطرب الغرناطي سيما وإن جلهم لا يتوفر على شواهد مسلمة من المعاهد الموسيقية ؛
• تسخير جميع الوسائل للحفاظ على هذا التراث وضمان استدامته ؛
• دعم الجمعيات والأفراد في إطار مشاريع واضحة الأهداف من أجل حماية هذا التراث وتدوينه ونقله بطرق علمية وتشجيع التبادل بين الجمعيات والمؤسسات في البلدان المغاربية واسبانيا من أجل تبادل التجارب والخبرات وتطوير هذا الفن وتسويقه، سيما وأن هناك إقبال دولي عليه، وجعله أداة لخلق الثروة ولإحداث فرص الشغل.

مما يؤكد أننا في حاجة إلى مركز للدراسات والأبحاث الغرناطية.

جمهور مهرجان الطرب الغرناطي لوجدة غفير ومخلص

الجمعية الأندلسية للطرب الغرناطي لوجدة

تعتبر الجمعية الأندلسية أقدم وأهم جمعية للطرب الغرناطي بمدينة وجدة. وقد أحدثت سنة 1921 من طرف المعلم الكبير المرحوم الشيخ بن اسماعيل، المولع بموسيقى الغرناطي، من أجل جمع أتباع هذا التراث الموسيقي الذي كان يمارس فقط في دائرة خاصة خلال الحفلات التي تقام غالبا في الهواء الطلق، كما كان الأمر بواحة سيدي يحيى حيث كانت تُرتجل حفلات رائعة.

كان العديد من الشيوخ الذين طبعوا تاريخ الطرب الغرناطي بوجدة وساهموا بشكل كبير في نهضة هذه الموسيقى، أعضاء في هذه الجمعية. ويمكن أن نذكر بالخصوص بوشناق بنيونس والشيخ ابراهيم والشيخ عبد القادر والشيخ الهاشمي والشيخ عطية والشيخ لحبيب والشيخ النقاش والشيخ الديب وآخرون. وأكبر الأساتذة والموسيقيين الحاليين للطرب الغرناطي بدؤوا واشتد عودهم في الجمعية الأندلسية.

كانت الجمعية منذ إنشائها تتضمن مشتلا لتعليم موسيقى الغرناطي. وقد كون هذا المشتل أجيالا عديدة من الفتيان والفتيات. واعتبرت هذه الموسيقى بالنسبة للبعض تسلية فقط، في حين مثلت شغفا وولعا كبيرا بالنسبة لآخرين، ومنهم من أصبحوا فنانين وموسيقيين بارعين في الطرب الغرناطي.

يتحمل الإدارة الفنية الحالية للجمعية الفنان الأستاذ الكبير محمد شعبان. وتُدرس الجمعية العزف على مختلف آلات موسيقى الغرناطي. وتمارس كذلك داخل الجمعية الموسيقى الأندلسية (موسيقى الآلة) ولكن بصورة نسبيا أقل.

لقد شاركت هذه الجمعية التي ستحتفل بمائويتها قريبا في العديد من المناسبات الثقافية بالمغرب وبالخارج :

- 1928 : مهرجان موسيقى بالرباط ؛
- 1930 : مهرجان موسيقات حوض المتوسط بباريس (فرنسا) ؛
- 1932 : مهرجان الموسيقى العربية بالقاهرة (مصر) ؛
- 1932 : مهرجان الموسيقى لفلورنسا (إيطاليا) ؛
- 1939 : مهرجان الموسيقى بفاس ؛
- 1945 : المهرجان الوطني للموسيقى الأندلسية (حصلت الجمعية على الرتبة الثانية) ؛
- 1950 : مهرجان الموسيقى بفاس ؛
- 1974 : مهرجان الموسيقى الأندلسية بتلمسان (الجزائر) ؛
- 1975 : احتفالات الشباب بإفران ؛
- 1977 : نوبة سجلت بالتلفزيون المغربي ؛
- 1978 : سهرة بوزارة الثقافة، تسجيل العديد من النوبات والصنائع للتلفزيون الوطني وسهرة بمسرح محمد الخامس بالرباط أذيعت مباشرة على أمواج الإذاعة الوطنية ؛
- 1979 : مهرجان منظم من قبل التلفزيون الفرنسي، المساهمة في حفل تدشين الدورة الرابعة عشر لمهرجان الشباب العربي بالرباط، تنشيط سهرة مع الفرقة الموسيقية لفيروز بمسرح محمد الخامس بالرباط، المشاركة في المهرجان الدولي للشباب بفيينا (النمسا)، تسجيل العديد من النوبات الأندلسية لفائدة التلفزيون المغربي والتي أذيعت في مجموع الدول العربية ؛
- 1980 : تسجيل نوبة أندلسية للتلفزيون الفرنسي (برنامج موزاييك) المذاع على شبكة الأوروفزيون، تنشيط سهرة موسيقية كبرى بوجدة والمشاركة في مهرجان الطرب الغرناطي والفنون الشعبية للسعيدية ؛
- 1990 : الاحتفالات بمناسبة عيد ميلاد المغفور له الحسن الثاني بالقصر الملكي بالرباط ؛
- 1994 : احتفالات عقد قران الأميرة للا حسناء بفاس.

موسيقيو الجمعية الأندلسية

كما شاركت الجمعية أيضا خلال السنوات الأخيرة في العديد من التظاهرات بالجزائر وإسبانيا وببلدان أخرى، فضلا على مجموع دورات المهرجان الدولي للطرب الغرناطي بوجدة منذ إحداثه.

منذ قرن من إنشائها، استطاعت الجمعية الحفاظ على أصالتها ومكانتها. وقد لعبت دورا أساسيا في نشر الطرب الغرناطي والتعريف به ليس فقط في وجدة وجهة الشرق، بل أيضا بالمغرب وبالخارج.

الإشراقات الموسيقية الأندلسية لوجدة

بدر مقري
أكاديمي، أستاذ وباحث

الكاتب من ضمن المؤرخين المرجعين لجهة الشرق وبالخصوص بالنسبة للعاصمة الجهوية. وهو أيضا «مُمرر» حريص على بناء الذاكرة. وقد بادر سنة 2009 بمعرض مشهود للصور الفوتوغرافية في رواق الفن لوجدة تغطي أزيد من نصف قرن من تاريخ المدينة (1907-1960). ويشتغل الأستاذ مقري على أسس هوية المدينة ويدخل الشكل الغرناطي للموسيقى العربية الأندلسية بالتالي ضمن دائرة عمله. فهو يقدم هنا توليفا تاريخيا مركزا مستعملا الوثائق بقوة.

لفائدة مقاربة جديدة للموروث الموسيقي الأندلسي، أعود إلى الإشادة بالبطء. وهذه الآلية المنهجية، التي تنتمي إلى السلوكيات المعرفية، تعني أن الاستعمال الجيد للبطء قد تجعل مقارباتنا أكثر موضوعية[1].

عقودا بعد الاستقلال، هل لم يحن الوقت للقطيعة مع الصور النمطية لوجدة باعتبارها فقط مدينة عبور تجمع الظواهر الثقافية الحدودية المختلفة ؟ وهذا الكليشيه مهيمن للأسف، إلى حد أنه أصبح بديهية طاغية.

لكن، وحتى تبرز صورة جديدة، ينبغي إعادة تصور فكرة المجالات الثقافية الحدودية وبالتالي تغيير طرق التفكير والعمل، بصورة عميقة، للتحرر من التاريخ الثقافي الذي أضحى كليشيه.

الموسيقى الأندلسية لايمكن بتاتا أن تأخذ شكل موروث سطحي مستقدم من تلمسان، بفضل محمد بن اسماعيل (1884-1947)، الذي أسس بوجدة سنة 1921، الجمعية الموسيقية الأندلسية، وهي الجمعية الأولى من نوعها التي تحمل هذه التسمية حسب عالم الموسيقى الإثنية الفرنسي كريستيان بوشي (1938-2010)[2].

جذور عميقة وقديمة

موسيقي يهودي بوجدة سنة 1913

الأبعاد الثقافية المحددة للموسيقى هي أبعد من أن تكون هدفا اصطناعيا، بمعنى أن الظواهر الثقافية لا تتخذ أبدا الصفات التي هي صفات أوساط أخرى غريبة عنها. يدافع عن ذروة هذه المقاربة الجديدة عالم الموسيقى الإثنية كريستيان بوشي السابق ذكره وقد خلص، بتحديد انتقال موسيقى غرناطة أو الموسيقى

الغرناطية، إلى وجود أسلوب غرناطي بوجدة، تم تطويره بهذه المدينة بفضل محمد بن اسماعيل الذي كان أول من سجل النوبة باعتماد النوطا الغربية[3]. بإنشاءه للجمعية الأندلسية سنة 1921 بوجدة، فقد زرع البذرة الطيبة في الأرض الجيدة. والشكل الغرناطي بوجدة هو في الحقيقة فاكهة موسيقية مقطوفة. إنها ثمرة إحدى عشر قرنا من التاريخ. ولا ننسى أن تأسيس مدينة وجدة سنة 994 ميلادية، من طرف زيري ابن عطية المغراوي، تم برعاية أمير قرطبة المنصور بن أبي عامر (القرن العاشر الميلادي).

لقد مدت وجدة يدها للأندلس منذ المرابطين (القرن الحادي عشر الميلادي)، حسب رواية رحلات علمائها. ولنذكر على سبيل المثال رحلة عبد الله ابن سعيد الوجدي، الذي كان قد استقر بطليطلة في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي أو رحلة عيسى بن محمد الذي استقر بمرسية، في الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي.

لقد تم وصف وجدة أيضا بواسطة كبار جغرافيي الأندلس، مثل البكري في القرن الحادي عشر الميلادي وابن عبد الربيع الحافظ في القرن الثالث عشر الميلادي. لقد جسدت وجدة أيضا مفهوم التثاقف الأندلسي، في النماذج التالية :

- فن الطبخ الأصيل بوجدة هو أندلسي بامتياز، وحتى نتيقن من ذلك، نكتفي بالإحالة على معجم فن الطبخ لابن رزين من بلنسية في القرن الثالث عشر، المسمى فدالة الخوان في فن الطبخ والطعام، أو، البسطيلة ؛
- هجرة اليهود من إشبيلية إلى دبدو ووجدة في 1391-1392 ؛
- جالية أندلسية كانت تعيش قبل ذلك بتاوريرت (حوالي 100 كيلومتر غرب وجدة)، منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حسب شهادة ابن خلدون (1332-1406)، في إحدى رحلاته ؛
- أبو عبد الله (1459-1533)، آخر ملك مسلم بغرناطة، نزل بعد سقوط غرناطة سنة 1492، في سواحل إقليم الناظور (100 كيلومتر شمال غرب وجدة) ؛

<<<

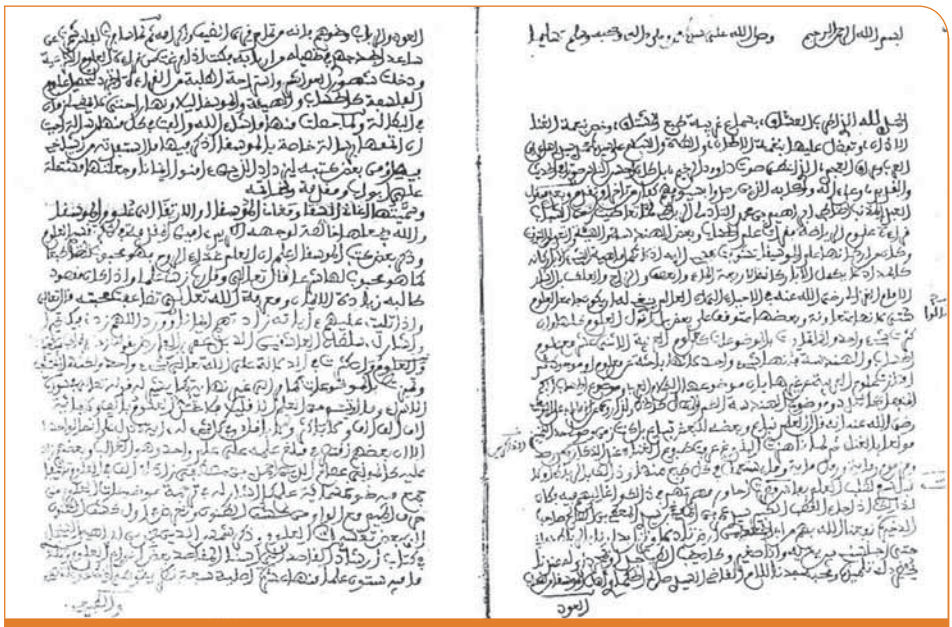

نسخة من المجموعة الموسيقية للتادلي، التي نسخت بوجدة سنة 1890

الغرناطي، موسيقى الهواء الطلق (هنا، جوق الجمعية الأندلسية سنة 1934)

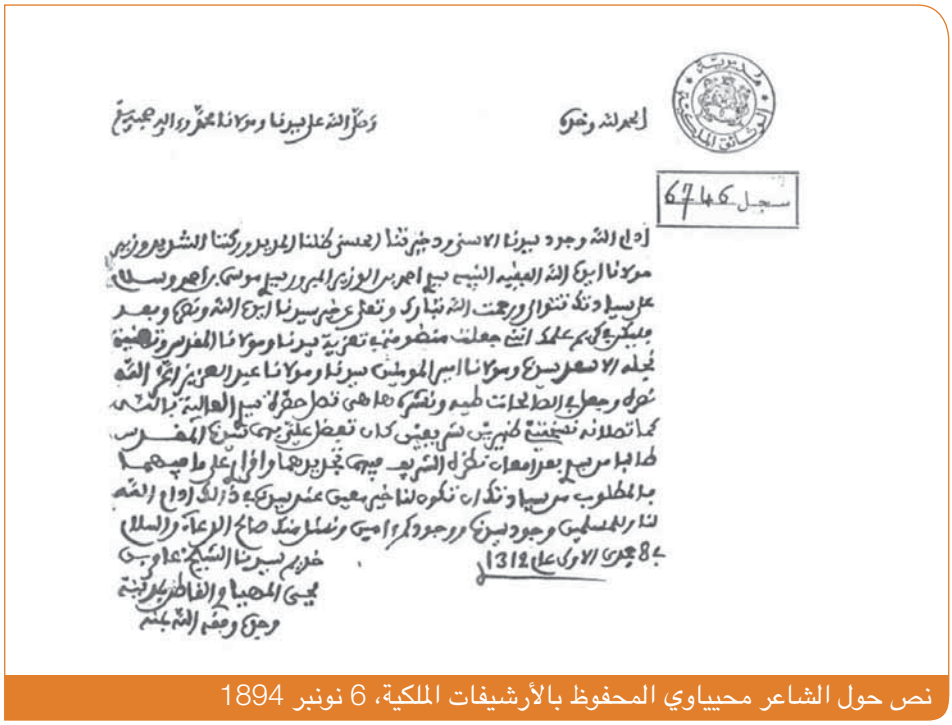

نص حول الشاعر محيياوي المحفوظ بالأرشيفات الملكية، 6 نونبر 1894

الشيخ صالح شعبان (1911-1973)، الروح الفنية للأندلس بوجدة

الشيخ صالح شعبان

تتطلب الذاكرة الموسيقية الأندلسية بناء مقاربة موضوعية للمسارات الفنية التي قوت هذه الذكرى الخصبة. داخل هذه المقاربة الموضوعية، يعتبر الشيخ صالح شعبان رائدا للموسيقى الأندلسية بوجدة للأسباب التالية :

- استحقاقه الموسيقي يوازي استحقاق جيل محمد بن اسماعيل (1884-1947)، مؤسس الجمعية الأندلسية لوجدة سنة 1921 ؛
- كان يتوفر على الخاصيات وقوة الشخصية لتسيير الجمعية الأندلسية لوجدة إلى حدود بداية السبعينات، وهو الذي فتح الطريق للجيل الثالث للجمعية الأندلسية ؛
- الشيخ صالح هو نموذج الفنان الموسيقي، الأكثر حرصا والأكثر تحفزا في تاريخ الموسيقى الأندلسية بوجدة ؛
- الروح الفنية للشيخ صالح كانت تصاحبها حساسية جمعوية ؛
- خلال مساره، بحث بكل الوسائل عن التميز الموسيقي الأندلسي ؛
- لقد شكلت الأعراس بوجدة فرصا سانحة للوعي والتعرف حقا على فنان موسيقي يجمع بين التحفز والطموح والليونة والنباهة ؛
- الشيخ صالح كان حاملا لمشروع موسيقى عالمة.

الجمعية الأندلسية : توطئة جمعوية لموسيقى عالمة

قَارَب عالم الموسيقى الإثنية الفرنسي جيل رواني (1858-1944) بين الموسيقى الأندلسية والموسيقى الغرناطية حتى كاد أن يدمجهما. لكن استعمال لفظة «غرناطي» انحصرت في النقل الشفهي في أسلوب موسيقي قائم بتلمسان ووجدة. وعلى كل حال، فإن الأسلوب الغرناطي، يستدعي تقاربات أخرى. وعلى نهج تلمسان ووجدة، تقيم مدن أخرى مغاربية توأمة موسيقية مع مسقط رأسها : بلنسية بالنسبة لفاس، قرطبة بالنسبة للجزائر العاصمة وإشبيلية بالنسبة لتستور (شمال غرب تونس).

تطور الأسلوب الغرناطي لوجدة بفضل محمد بن اسماعيل والذي أسس سنة 1921، في إطار نادي الفنون الجميلة لوجدة، الجمعية الأندلسية. وهذه الجمعية كانت في الواقع معهدا لتعليم الموسيقى العالمة. وقد كان محمد بن اسماعيل أول من نسخ النوبة، أي تتابع القطع الآلية والصوتية، بالتنويط الغربي. لكن عمله الذي ظل على شكل مخطوط، يبدو أنه فُقد الآن.

من الذكاء منهجيا أن نعتبر أن الجمعية الأندلسية لوجدة هي الجمعية الموسيقية الأندلسية الأولى بالمغرب والأولى التي تتبنى هذه التسمية. ونعزز هذا السبق بواسطة رسالة للوي برونو (1882-1965)، رئيس مكتب التعليم الأهلي بمديرية التعليم العمومي بالمغرب أثناء الحماية الفرنسية، موجهة إلى مفتش التعليم المهني الأهلي بالرباط، في 24 أبريل 1931، بخصوص طلب من المارشال ليوطي حول مشاركة الجمعية الأندلسية في المعرض الكولونيالي بباريس (6 ماي إلى 15 نونبر 1931) لمدة 10 أيام، ابتداء من 27 ماي 1931.

ينبغي التأكيد، كقيمة مضافة، توأمة مدرسة الفنون الجميلة ومعهد الموسيقى بوجدة، منذ إحداثها في 27 نونبر 1964 بوجدة، تحت رئاسة السيدة تايلور، مع الجمعية الأندلسية لوجدة، التي كان يرأسها وقتها الفنان الموسيقي أحمد الزموري. ومن المهم الإشارة بأن هذه المدرسة خلَفت نادي الفنون الجميلة، الذي أسس سنة 1919، وحُول سنة 1936 إلى مدرسة الفنون الجميلة ومعهد الموسيقى، تحت وصاية بلدية وجدة والمديرية العامة للتعليم العمومي. وهذه التوأمة لم تكن لترى النور لولا الدور الذي لعبه المايسترو جوهر محمد الشرادي، مدير الصولفيج والهارمونيا.

إضافة إلى ذلك، أكدت الجمعية الأندلسية إشعاعها الدولي بالمشاركة سنة 1938 في مهرجان ماي الموسيقي في فلورنسا، وكذا في الجائزة الكبرى لمهرجان فاس، في شهر ماي 1950.

الجمعية الأندلسية لوجدة، سنة 1921

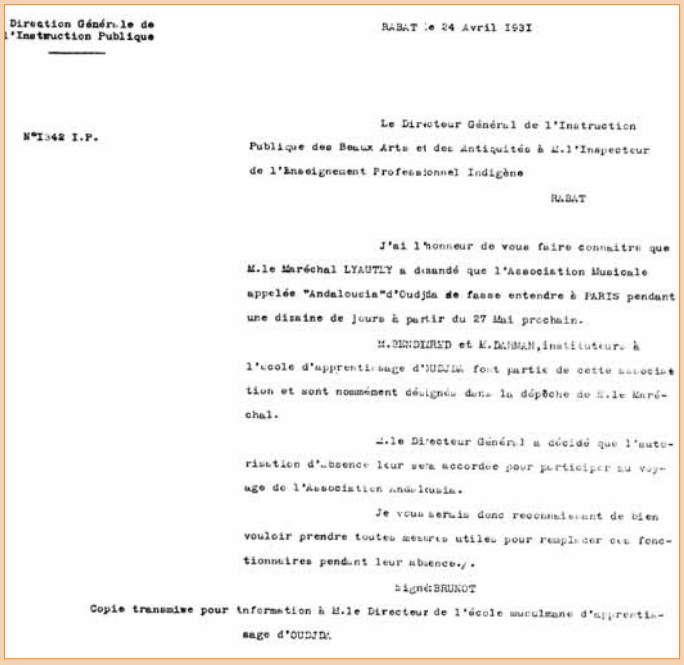

Direction Générale de l'Instruction Publique

RABAT le 24 Avril 1931

N°1342 I.P.

Le Directeur Général de l'Instruction Publique des Beaux Arts et des Antiquités à M.l'Inspecteur de l'Enseignement Professionnel Indigène

RABAT

J'ai l'honneur de vous faire connaître que M.le Maréchal LYAUTEY a demandé que l'Association Musicale appelée "Andalousia"d'Oudjda de fasse entendre à PARIS pendant une dizaine de jours à partir du 27 Mai prochain.

M.BENDIDRED et M.BAMBAN,Instituteurs à l'école d'apprentissage d'OUDJDA font partis de cette association et sont nommément désignés dans la dépêche de M.le Maréchal.

M.le Directeur Général a décidé que l'autorisation d'absence leur sera accordée pour participer au voyage de l'Association Andalousia.

Je vous serais donc reconnaissant de bien vouloir prendre toutes mesures utiles pour remplacer ces fonctionnaires pendant leur absence./.

Signé:BRUNOT

Copie transmise pour information à M.le Directeur de l'école musulmane d'apprentissage d'OUDJDA.

الجمعية الأندلسية لوجدة، سنة 1928

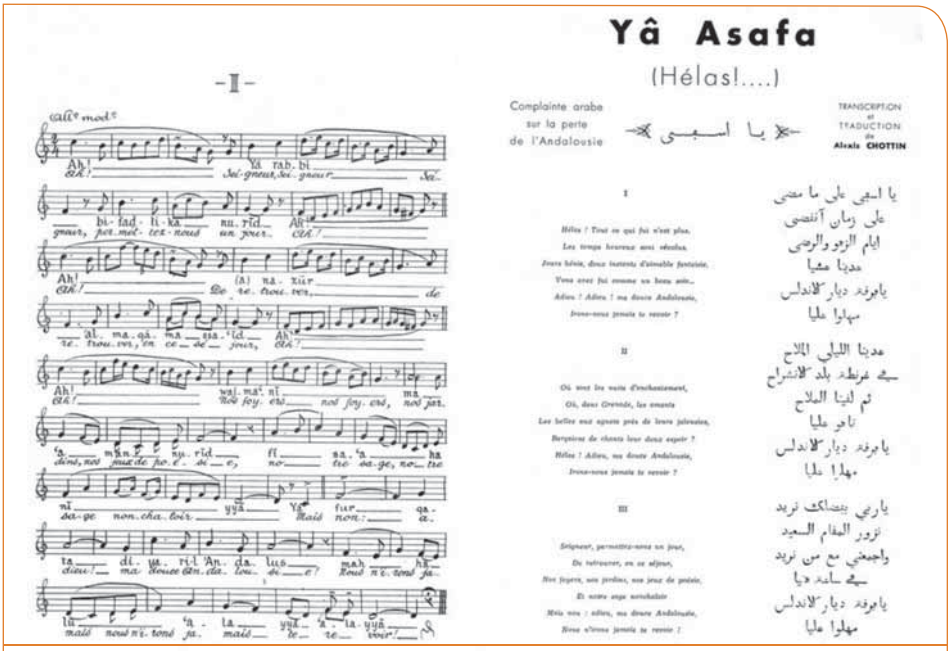

وثائق للجمعية الأندلسية

الجمعية الأندلسية لوجدة بالمعرض الكولونيالي لباريس سنة 1931

<<< • إحدى الوجوه الرمزية للموسيقى الأندلسية المغربية هو محمد ابن علي الغماد الوجدي، المتوفى سنة 1624، وعندما تحدث عالم الموسيقى الكبير الحايك، المتوفى بتطوان حوالي 1824 عن الإمام الوجدي، في ديوانه الشهير للأغاني، حسب التقليد الأندلسي المغربي، فشخص الغماد الوجدي، هو المعني ؛

• نسخة من ديوان الموسيقى الأندلسية لعالم الموسيقى الكبير ابراهيم محمد التادلي، المتوفى سنة 1894، التي ابتدأ نسخها بوجدة سنة 1890، وانتهت في 26 فبراير 1890 ؛

• وثيقة مؤرخة في 6 نونبر 1894 والمحفوظة في مديرية الوثائق الملكية بالرباط، تشهد على ريادة شاعر بوجدة، هو الشيخ عامر بن يحيى محييلوي، صاحب عمل شعري معروف في الإنشاد الأندلسي، في المغرب والجزائر ؛

• أول جمعية موسيقية أندلسية بالمغرب كانت الجمعية الأندلسية لوجدة سنة 1921، قبل جمعية الرباط وجمعية فاس، حسب عالم الموسيقى الإثنية الفرنسي، ألكسي شوتان (1891-1975)[4] ؛

• الجمعية الأندلسية كانت محل العديد من تقارير مديرية المراقبة المدنية للحماية الفرنسية بالمغرب، ويمكن أن نحيل مثلا إلى مذكرة بتاريخ 2 دجنبر 1926 المحفوظة في الوثائق الدبلوماسية للوزارة الفرنسية للشؤون الخارجية بنانت (Maroc, DIP 59-7).

ملحمة الغرناطي بوجدة

الموسيقى الغرناطية لوجدة، أو بالأحرى الشكل الغرناطي لوجدة، هي إبداع، وأيضا تأويل للزمان والمكان. هناك، من جهة، مسار تاريخي، ومن جهة أخرى، وعي بهذا المسار. علاوة على ذلك، لنأخذ بعين الاعتبار علاقات الإبداع بالمجال أو، بعبارة أخرى، بالوسط. فالوسط بطبيعته علاقة ينبغي تصورها في بعدها الذاتي. فهو في نفس الوقت مادي وظواهري وطبيعي وثقافي.

لقد كونت وجدة أسلوبها الغرناطي وفق التمثل الذي وضعته عن الموسيقى الغرناطية.

جمالية الشغف بالموسيقى الأندلسية

ترتبط الموسيقى في الأندلس بكل الأعياد والأفراح : وتشمل تربية الفتاة الصغيرة تعليم الموسيقى وتمارين عملية على آلة العود والرباب وآلات أخرى. وقد عبر الشاعر عن الروح الفنية للأندلس حين قال : *«لا تلمني لكوني سررت بسماع أغنية تحيي البهجة المعتادة لأن الرجل النبيل سعيد جدا»*[1].

تجدر الإشارة أنه ليس فقط الرجال النبلاء من يحبون الموسيقى، ولكن أيضا الرجال العاديون[2]. الموسيقى التي يتذوقها الأندلسيون هي موسيقى أساسا حضرية[3]. وقد كان التعليم الانتقائي والمعارف الفنية المختلفة تعطى للموسيقيين والمنشدين بقرطبة بمؤسسات على شاكلة أكاديميات – معاهد. وقد كانت المنشِدات والموسيقيات تجتمعن في جوقة تسمى الستارة على إسم الستار الذي يفصل الفرقة عن الحضور[4].

هكذا، فقد استطاعت الأندلس أن تمنح مكانا واسعا للإلهام الشعبي، باستقبال أنواع شعرية جديدة، كالموشحات والزجل.

وفي القرن الحادي عشر، أخذت الموسيقى الأندلسية الشكل الذي ستحتفظ عليه فيما بعد. وهذا هو الشكل الذي سينتشر عند مسيحيي إسبانيا ويشع على المغرب، ليحتفظ إلى يومنا هذا بتسمية «الإنشاد الأندلسي» أو «كلام غرناطة» المتميزة[5].

لقد اخترنا، كنموذج جمالي للشغف بالموسيقى الأندلسية، في التقاليد الشعرية الموسيقية بوجدة، موضوع الطبيعة، كمصدر للإلهام في الشعر المغنى :

• الأندلس :

1- يا أهل أندلس، لله ضركم، ماء وظلال وأنهار وأشجار !

2- ما جنة الخلد إلا بأرضكم، ولو كان بوسعي أن أختار، فسأختار أرضكم[6].

• الوديان :

1- لقد فضحت الدموع سري في وادي جماله يتألق.

2- هذه العلامات هي جدول يجري في كل بستان وبستان تتلألأ ألوانه في كل وادي[7] !

• الفواكه :

- الليمون :

1- في بستان، أعطاني الوزير ليمونة، وبإشارة، كما يفعل السيد، طلب مني أن أجد مقارنة ؛

2- بقيت صامتا، ثم قلت : «تشبه جلجلا من فضة مغلف بأصفر ذهبي»[8].

• الغسق :

1- تحرك الشمس الزعفران على الروابي ويفتت المسك في قاع الوادي.

2- كم من أيام قضيناها، كانت الأمسيات أرجوانية تفرح النظر كالتبر المذاب[9].

1 - إيفارست ليفي بروفنسال (1894-1956). إسلام الغرب، باريس، 1948، الصفحة 378.
2 - نفس المرجع، ص. 379.
3 - نفس المرجع، ص. 381.
4 - نفس المرجع، صفحات 383-385.
5 - نفس المرجع، صفحات 392-393.
6 - هنري بيريس. الشعر الأندلسي بالعربية الفصحى، باريس، 1953، ص. 116.
7 - نفس المرجع، ص. 158.
8 - نفس المرجع، ص. 192.
9 - نفس المرجع، ص. 219.

الرماة المغاربة لعمالة وجدة سنة 1908 يقدمون نوبة

يمثل مسار المايسترو الشيخ صالح شعبان (1911-1973)، المتميز بهذا المزج الفريد بين الغرناطي والملحون، تصورا لموسيقى غرناطية خاصة بوجدة. إن أسلوب وجدة الغرناطي هو مشهد طبيعي، لأنه تعبير ملموس للعلاقة بين موضوع ثقافي، فردي وجماعي، بالمجال والوقت.

لنتذكر، ختاما لهذه المقاربة، بأن الموسيقى باعتبارها ظاهرة ثقافية، تؤثر ليس فقط على التصورات الجمالية، ولكن أيضا على مستويات الإحساس بالعناصر الأكثر عمقا للروح في سموها. وهكذا، فإن عبقرية المكان ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار كبنية عميقة في دراسة الموروث الغرناطي لوجدة. <<<

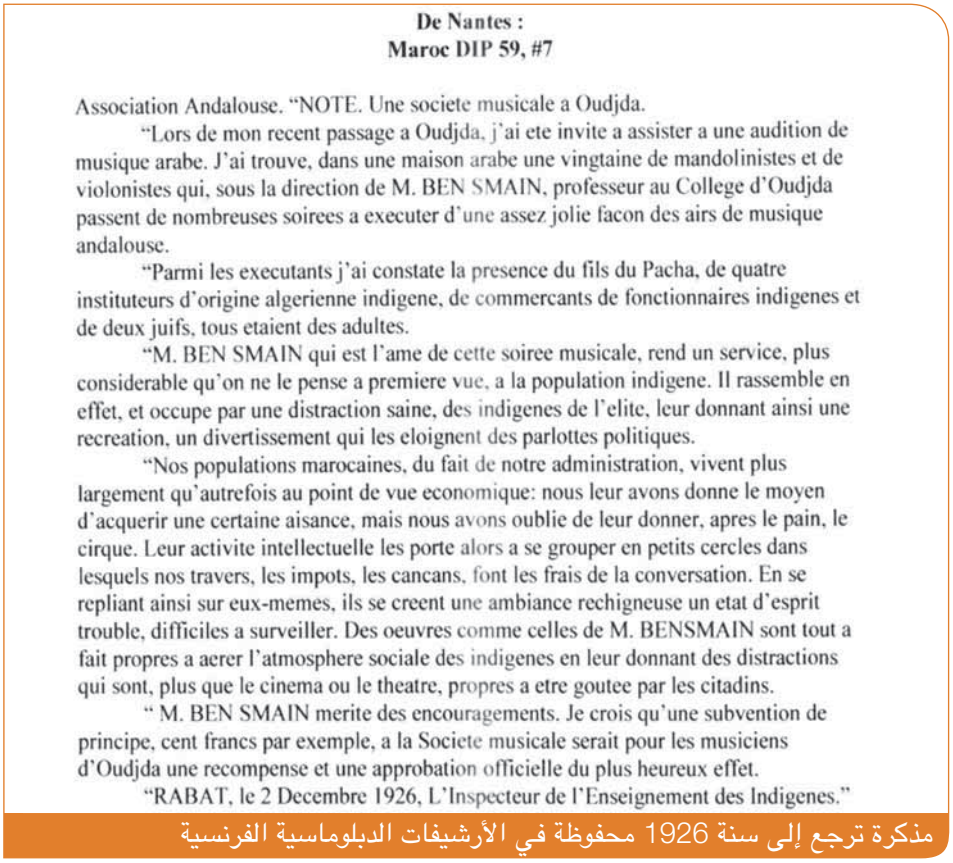

De Nantes :
Maroc DIP 59, #7

Association Andalouse. "NOTE. Une societe musicale a Oudjda.

"Lors de mon recent passage a Oudjda, j'ai ete invite a assister a une audition de musique arabe. J'ai trouve, dans une maison arabe une vingtaine de mandolinistes et de violonistes qui, sous la direction de M. BEN SMAIN, professeur au College d'Oudjda passent de nombreuses soirees a executer d'une assez jolie facon des airs de musique andalouse.

"Parmi les executants j'ai constate la presence du fils du Pacha, de quatre instituteurs d'origine algerienne indigene, de commercants de fonctionnaires indigenes et de deux juifs, tous etaient des adultes.

"M. BEN SMAIN qui est l'ame de cette soiree musicale, rend un service, plus considerable qu'on ne le pense a premiere vue, a la population indigene. Il rassemble en effet, et occupe par une distraction saine, des indigenes de l'elite, leur donnant ainsi une recreation, un divertissement qui les eloignent des parlottes politiques.

"Nos populations marocaines, du fait de notre administration, vivent plus largement qu'autrefois au point de vue economique: nous leur avons donne le moyen d'acquerir une certaine aisance, mais nous avons oublie de leur donner, apres le pain, le cirque. Leur activite intellectuelle les porte alors a se grouper en petits cercles dans lesquels nos travers, les impots, les cancans, font les frais de la conversation. En se repliant ainsi sur eux-memes, ils se creent une ambiance rechigneuse un etat d'esprit trouble, difficiles a surveiller. Des oeuvres comme celles de M. BENSMAIN sont tout a fait propres a aerer l'atmosphere sociale des indigenes en leur donnant des distractions qui sont, plus que le cinema ou le theatre, propres a etre goutee par les citadins.

" M. BEN SMAIN merite des encouragements. Je crois qu'une subvention de principe, cent francs par exemple, a la Societe musicale serait pour les musiciens d'Oudjda une recompense et une approbation officielle du plus heureux effet.

"RABAT, le 2 Decembre 1926, L'Inspecteur de l'Enseignement des Indigenes."

مذكرة ترجع إلى سنة 1926 محفوظة في الأرشيفات الدبلوماسية الفرنسية

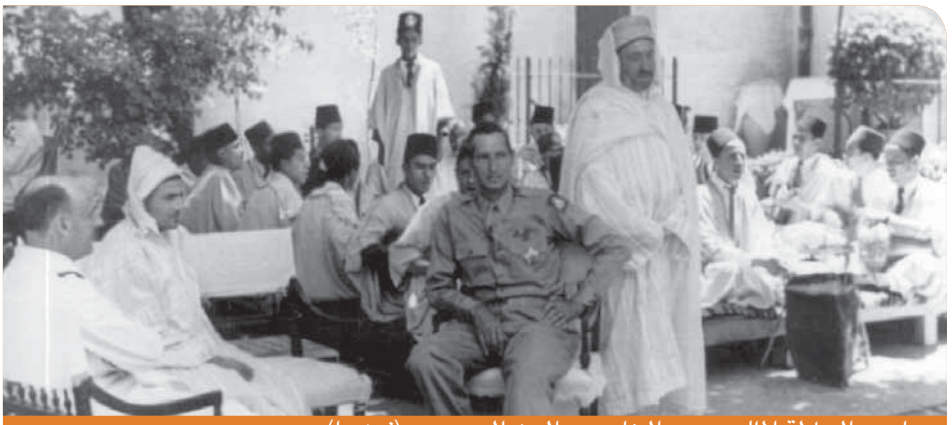

صاحب الجلالة الملك محمد الخامس والجنرالين بوييو (فرنسا) وكلارك (الولايات المتحدة الأمريكية) مع فرقة الأندلسية في يونيو 1943

الجمعية الأندلسية لوجدة سنة 1937

>>> فهل من قبيل الصدفة الغريبة أن نجد أربعة من أكبر شعراء الطرب الغرناطي قد وصلوا إلى سمة إبداعهم الشعري بوجدة ؟ ويتعلق الأمر بـ :

- أحمد بن التريكي زنكلي (1650-1749) ؛
- مصطفى بن ابراهيم (1800-1867) ؛
- الشيخ بن عامر محييلوي (نهاية القرن التاسع عشر) ؛
- أحمد الوجدي (عنقود الدالية)[5].

تضاف العديد من الميزات إلى المقاربة الموضوعية لهذا الموروث الأندلسي لوجدة، منها هذه المؤشرات :

- فاز الأسلوب الغرناطي الوجدي بكل الحظوة سنة 1928، خلال أيام الموسيقى المغربية بالرباط، والتي عرفت نجاحا كبيرا للجمعية الأندلسية لوجدة ؛
- طلب الجنرال ليوطي في رسالة بتاريخ 24 أبريل 1931 موجهة للمدير العام للتعليم العمومي والفنون الجميلة والآثار بالرباط، بأن تمثل الجمعية الأندلسية المغرب في المعرض الكولونيالي لباريس لسنة 1931 ؛
- مثلت الجمعية الأندلسية من طرف أحد الموسيقيين في الوفد المغربي (7 أعضاء) الذي شارك في مؤتمر الموسيقى العربية، بالقاهرة (14 مارس إلى 3 أبريل 1932) ؛
- تقديم بعض النوبات التي سجلها محمد بن اسماعيل ومصطفى عبورا، بإسم الجمعية الأندلسية لوجدة، أمام مؤتمر الموسيقى العربية الأندلسية بفاس، في 6 ماي 1939 بالقاهرة.

1- كارل أونوري. الإشادة بالبطء، منشورات مارابو، باريس، ص. 13 (بالفرنسية).
2- كريستيان بوشي. الموسيقى العربية الأندلسية. منشورات أكت سود، باريس، 1995، ص. 17. (بالفرنسية).
3- نفس المرجع، ص. 18.
4- أليكسيس شوتان. في مؤتمر الموسيقى العربية. القاهرة (14 مارس 3 أبريل 1933). مذكرات مؤتمر. نشرة التعليم العمومي للمغرب، الرباط، السنة العشرون، يناير - فبراير 1933، ص. 9 (بالفرنسية).
5- كمال بندميريد، هوامش أندلسية، جولة في أراضي حوزية، مطبعة كرافيكولور، تلمسان، 2011، صفحات 20، 22 و26.

جمعية السلام لقدماء الطرب الغرناطي

أحدثت الفرقة الموسيقية السلام سنة 1951 بواسطة الأستاذين ابراهيم الكرزازي ووراد بومدين، وهو المدير الفني عند الإنشاء، وكذا العديد من الأسماء الكبيرة في الطرب الغرناطي كالأستاذين بنيونس بوشناق وعبد الكريم الزرهوني. وهما يمثلان نواة جمعية السلام لقدماء الطرب الغرناطي بوجدة.

الفرقة الموسيقية السلام
برئاسة وراد بومدين، 1961

اعتبرت هذه الفرقة «جوق جهوي» بالنسبة للإذاعة المحلية لوجدة سنة 1962. وهكذا قام بتسجيل العديد من تويشيات ونوبات الطرب الغرناطي، وكذا قصائد معروفة عند الهواة، كما تدل على ذلك التسجيلات.

في بداية الثمانينات، وبعد نهضة الطرب الغرناطي بوجدة، اجتمع أعضاء الفرقة الموسيقية ومواهب جديدة للطرب الغرناطي لإنشاء جمعية زرياب، التي يرأسها أحمد الزموري، أحد أعمدة هذه الموسيقى والذي ساهم في تنميتها عبر البحث، ما أدى إلى تتويجه بأوسمة من لدن وزارة الثقافة سنتي 1989 و2001.

في سنة 1986، أنشأ أساتذة كبار لموسيقى الغرناطي وكذا أعضاء في الفرقة الموسيقية السلام، مجموعة السلام لقدماء الطرب الغرناطي، والتي جمعت أكبر فناني الطرب الغرناطي آنذاك، إلى جانب تلاميذ شباب لتأمين استمرارية المجموعة وتنمية هذه الموسيقى عموما. وقد عمل الأساتذة، داخل الجمعية، على تنمية وتثمين موسيقى الغرناطي بجمع وتقييد النوبات والقصائد، إلى جانب المحافظة على نغمة النوبات كما خلفها لنا الشيوخ. كما حرصوا على تشجيع البحث العلمي لتثمين موسيقى الغرناطي.

سنوات قليلة بعد ذلك، تحولت المجموعة إلى جمعية من أجل هيكلة وتنظيم أنشطتها بشكل أفضل. ومنذ إنشائها، تحرص الجمعية على تكوين شباب يتراوح عمرهم ما بين 7 و16 سنة، بتلقينهم دروسا في قواعد مقامات ونوبات الغرناطي وكذا تعليمهم العزف على الآلات الموسيقية المستعملة في هذا النوع الموسيقي. يشارك هؤلاء الشباب في المهرجان الجهوي للطرب الغرناطي للأطفال، الذي تنظمه عدة جمعيات بوجدة.

الفرقة الموسيقية السلام
بقيادة أحمد الزموري، 1992

كما أنها تعمل على تنمية المواهب وكذا تعزيز الإتقان لدى الأعضاء.

تضم الجمعية العديد من الموسيقيين البارعين، وتسهر على المحافظة على إرث موسيقى الغرناطي وتأمين انتشارها الوطني وبالخارج. وقد شاركت في العديد من المهرجانات وفي حفلات موسيقية بالمغرب وبالخارج، وخاصة مجموع دورات المهرجان الجهوي للطرب الغرناطي لوجدة منذ إنشائه. ونظمت الجمعية سنوات 2011 و2014 و2017 العديد من الأحداث لتكريم أساتذة في الطرب الغرناطي، مثل ابراهيم الكرزازي وبنيونس بوشناق وأفندي وأحمد الزموري و المهدي قويدر وعبد الكريم الزرهوني وعبد السلام الوزاني.

الفرقة الموسيقية السلام برئاسة محمد المهدي، 2014،
بمناسبة الدورة 23 للمهرجان الجهوي للطرب الغرناطي لوجدة

من الأب إلى الإبن، زهاء قرن من الطرب الغرناطي

محمد شعبان
رئيس الجمعية الأندلسية

هناك أنواع من الإرث تلزم صاحبها. الأستاذ محمد شعبان يحمل إسم أبيه المرموق وكان عليه أن يكون في مستوى هذا الإسم. ولكن في واقع الأمر، مواهبه الاستثنائية وعمله الدؤوب هما اللذان بوآه قبل كل شيء مهمة إحياء عوالم الطرب الغرناطي. إنه هنا يتقاسم بعد أبيه نظرة لقرابة قرن من تاريخ هذا الشكل الموسيقي الخاص بجهة الشرق.
هذا ما يمنحه نظرة استشرافية لمستقبل يمكن أن يكون واعدا.

تعود ذكرياتي الأولى مع الطرب الغرناطي إلى السنوات الأولى من طفولتي. وقد كانت أمي تحكي لي، أني، وأنا صبي وقبل أن أتعلم الكلام، كنت دائما أجلس إلى جانب أبي الشيخ صالح الذي كان يتمرن على عوده كل مساء بعد عودته من عمله.

الشيخ صالح شعبان وبعض من موسيقييه (1946)

كنت أبقى لساعات في الاستماع إليه إلى أن أنام وأن يودعني فراشي أحيانا.
بعد ذلك بقليل بدأ أبي يصطحبني معه لحضور بعض حفلاته وفي الأعياد. وهكذا بدأت أولع بموسيقى الغرناطي، ولو أنني لم أكن أعزف بعد على أية آلة.
من جانب آخر، وطوال طفولتي، أتذكر أن أبي كان يرغمنا، أنا وإخوتي، على أخذ قيلولة، ويطلق الإذاعة الوطنية للرباط التي كانت تذيع مقاطع من الآلة لأكبر الأساتذة آنذاك : لقد كانت الموسيقى الأندلسية تملأ دائما أذناي.

الخطوات الأولى والنوطات الأولى بفضل البيانو

في أحد الأيام، وأنا في المدرسة الابتدائية، طلب مني أن أصله في دكانه الصغير بزنقة الدار البيضاء، بعد دروسي. وعند وصولي إلى الدكان، اكتشفت لأول مرة البيانو، فكان حبا من أول نظرة، رغم أنه لم يسبق لي أن

ما هو أصل الطرب الغرناطي ؟

وصلت الموسيقى الأندلسية إلى شمال المغرب مع هجرة أسر أندلسية في اتجاه شمال القارة الإفريقية. وقد استقرت هذه العائلات في العديد من المدن المغاربية، وبالخصوص الرباط وفاس أو تطوان، ولكن أيضا بوجدة، تلمسان، الجزائر العاصمة، وحتى بتونس العاصمة والمهدية، وكذا بمدن أخرى من الشمال المغاربي. وقد استقدموا ثقافتهم في مجال اللباس والمأكل وأيضا الموسيقى. هكذا، تطورت الموسيقى الأندلسية في شمال المغرب، حيث انتشرت وتجدرت.

بالنظر إلى كون هذه الأسر كانت ترغب في الاستقرار والالتقاء والتجمع في مدينة واحدة على أساس الأماكن التي هاجروا منها حيث أنهم قدموا من مناطق مختلفة من الأندلس والتي لكل واحدة منها أسلوب موسيقي خاص، فقد انتشرت أصناف عديدة من الموسيقى الأندلسية بشمال الأقطار المغاربية، والتي أصبحت بمرور الوقت خاصيات تراثية للمدن المستقبلة.

لهذه الأسباب، نجد أشكال مختلفة للموسيقى الأندلسية، على غرار موسيقى الآلة التي نجدها بالخصوص بفاس وتطوان والرباط وأيضا بطنجة. أما الطرب الغرناطي أو الصنعة، فقد تطورت في مجال واسع بين وجدة والجزائر العاصمة وتلمسان ومستغانم، في حين استقر المالوف في جهة قسطنطينة وحتى تونس.

تتميز الموسيقى الأندلسية قبل كل شيء بالنوبة، وهي مجموعة من المقاطع النغمية الإيقاعية مع فقرات من الأناشيد الشعرية. في كل نوبة، نجد خمسة أجزاء إيقاعية : المصدر، البياتي، الدرج، الانصراف وأخيرا المخلص. بالنسبة للغرناطي أو الصنعة، نستعمل أساسا 15 نوبة، منها 12 كاملة و3 ناقصة.

الشيخ صالح شعبان مع موسيقيي الجمعية الأندلسية (1947)

لعبت الموسيقى في حياتي. لعب أبي أمامي نغما بسيطا، ودعاه أحد الزبائن، فأخذت مكانه وأعدت نفس النغم بدقة. جرى أبي نحوي مستغربا وطلب مني أن أعيد، لقد كان سعيدا وفخورا.

من يومها، بدأت تعليمي بواسطة أبي وبمحاولة عزف مقاطع سمعتها من قبل. ثم التحقت بالجمعية الأندلسية، حيث كنت أتدرب بصحبة رفاقي. وبعد سنة، شاركت في عرض بالإذاعة الوطنية، كان عمري حينها 11 سنة.

عندما رأى أبي شغفي بالبيانو، سجلني سنة 1960 بالمعهد الموسيقي لمدرسة الفنون الجميلة لوجدة، القريب من ثانوية عمر ابن عبد العزيز. وتحت قيادة السيد شقرون، وهو أستاذ يهودي كان يعشق الطرب الغرناطي، تعلمت أولا الصولفيج ثم البيانو. وبعد ذلك، واصلت تعلمي بمفردي.

في شبابي لم أكن أعزف سوى على آلة البيانو، ولم أبدأ في عزف العود إلا بعد وفاة والدي. وقد كنت أتعلم لوحدي بالاستماع لتسجيلات أبي وبمحاولة إعادة عزفها. واليوم، أنا أعزف وأدرس كل الآلات الموسيقية، باستثناء الناي والقانون.

بحكم صغر سني، لم أكن أطمح في أن يكون لي مسار موسيقي أو أن أصبح أستاذا للموسيقى. لقد كنت أمارس فقط بسبب شغفي وعشقي للغرناطي.

لكن بعد وفاة أبي، تسلمت المشعل والجمعية سنة 1976. كان أبي يعطي دروسا في الموسيقى بدكانه. بعد موته، تسلمت دكانه وبدأت في التدريس بدوري، في الفترة ما بين 1973 و1976، وهي السنة التي التحقت فيها بالجمعية الأندلسية.

واصلت عملي كتاجر إلى غاية 2002. وقد كونت منذ ذلك التاريخ أجيال عديدة من الشباب الموسيقيين، والذين أحدث بعضهم جمعيات جديدة، وآخرون انتقلوا إلى أماكن أخرى، وأنا ما زلت هنا اليوم ولفترة قد تطول قدر الاستطاعة.

حياة الفنان :
الموهبة، البراعة والمثابرة

لدي الكثير من الذكريات الجميلة أثناء عروضي المختلفة مع تلامذتي. كنت أتوفر على أفضل الموسيقيين والتلاميذ في الفترة الممتدة ما بين 1982 و1988. لقد كانت حقبة لا تنسى بالنسبة لي، لكنها امتزجت بإجهاد كبير وحتى بنوع من الخوف، لأنه ليس من السهل تسيير المجموعة أمام الجمهور أو في مواجهة الكاميرا. ثم إني أحاول دائما أن أقترب من الكمال وأريد أن تكون عروضنا دوما أحسن.

أمسية للطرب الغرناطي بمناسبة الذكرى العاشرة للخطاب الملكي بوجدة، يوم 18 مارس 2003، يحييها الأستاذ محمد شعبان

في الغالب، يأتي الناس لتهنئتي بعد نهاية العرض، في حين لا أكون أحيانا راضيا عن الحفل، لذا أبحث دائما على تحسين عرضي. هناك ذكريات أخرى راسخة في ذهني، مثل تسجيلي الأول بالرباط حيث استقبلنا من طرف ممثلين كبار كمحمد حسن الجندي. كما أتذكر باعتزاز حفلات أقمناها بمدريد وإشبيلية وتلمسان وبالعديد من الأماكن الأخرى.

لقد تعلم أبي أبجديات الطرب الغرناطي من شيوخ كبار وخاصة الشيخ بن اسماعيل، مؤسس الجمعية الأندلسية سنة 1921. لقد كانت موسيقى الغرناطي موجودة بوجدة قبل قدوم الشيخ بن اسماعيل، ولكن لم تكن هناك مدارس أو معاهد. كانت الموسيقى تمارس من لدن بعض العائلات في إطار خاص أثناء الأعياد والاحتفالات، في الهواء الطلق، بالبساتين والحقول، وأيضا بواحة سيدي يحيى تحت النخيل حول كؤوس الشاي. ومازلت أتذكر الحفلات المرتجلة وذات المستوى الجيد التي كانت تقام حينها.

عند قدوم المرحوم بن اسماعيل إلى وجدة، بعد أن طلب انتقاله ليقترب من عائلته، التقى بالعديد من الأشخاص الذين كانوا يمارسون الطرب الغرناطي، وهكذا راودته فكرة إنشاء هذه الجمعية لجمع أتباع هذا الفن بوجدة. عرفت هذه الجمعية تغيرات كثيرة لكنها استطاعت المحافظة على الطابع الفريد لهذا الفن. وقد شاركت في أحداث ثقافية على جميع المستويات المحلية والوطنية والعالمية، وحتى الجهوية كالمهرجان الأول للسعيدية، سنة 1979. وقد فازت الجمعية بالعديد من الجوائز الأولى، خاصة أثناء مهرجان فاس لسنة 1950.

مر العديد من الشيوخ بهذه الجمعية، مثل الشيخ بوشناق بنيونس والشيخ ابراهيم والشيخ عبد القادر، وهو صديق لوالدي، واللذان يعتبران من أنجب تلامذة الشيخ بن اسماعيل، وكذلك الشيخ هاشمي والشيخ عطية والشيخ لحبيب والشيخ نقاش والشيخ ديب وآخرون كثر، والذين جعلوا من الطرب الغرناطي ما هو عليه اليوم. من المؤسف أنه في وقتهم لم يكن هناك مهرجان ولا وسائل لتسجيل النوبات الخالدة. لقد رحلوا مع الأسف جميعا وحمل كل واحد منهم فنه معه.

احترام الشكل الغرناطي وانفتاح على الموسيقات الأخرى

في الجمعية، لم نكن نهتم فقط بالغرناطي، بل أيضا بموسيقى الآلة، التي هي أقل تطورا هنا بالمقارنة مع الرباط وفاس. ومنذ هذه السنوات كلها، مرت العديد من الأجيال بالجمعية، لكنهم لم يستطيعوا المحافظة على ما تعلموه، لقد اتبعوا مدارس أخرى ولم يستطيعوا الاحتفاظ بمكتسبات مدارس وجدة. مدرسة وجدة مدرسة حقيقية للطرب الغرناطي وهي اليوم مهمشة وغير معروفة بالشكل المناسب. أسلوبنا في وجدة يقترب من أسلوب تلمسان، ولكن هناك اختلافات وطابع خاص. نحن نتوفر على ربرتوار خاص، ورغم كونه ليس غزيرا، لكنه موجود. لقد حصل أن لعبت صنايع أمام أساتذة تلمسان وكانوا يسألوني عن مصدرها، في حين أنها كانت صنايع منتشرة بوجدة وأعرفها منذ صباي.

في أحد الأيام، خلال مهرجان بوهران، قمنا بمزج مع مجموعة من تلمسان واتفقنا على عزف نوبة المزموم، على طريقتنا الخاصة، وقد أعجبهم الأمر ولعبنا حسب طريقتنا التي لقيت نجاحا كبيرا.

أنا أحب كل أشكال الموسيقى الأندلسية، أندلسي الجزائر العاصمة وموسيقى الآلة والمالوف، ولكن لكوني وجدي وحريص على تقييم موسيقى مدينتي، فأنا أفضل أن أتغنى بشكلي الفني وليس أسلوب المدارس الأخرى. أنا فخور ومسرور حينما يقولون لي في نهاية الحفلات بأن الطريقة التي أديت بها النوبة تلك رائعة، ولا يتوانون في تهنئتي.

أنا متأثر جدا بمدرسة تلمسان، وكل ما أعرفه، تعلمته من أبي ومن الشيخ العربي بنساري، أحد أكبر أساتذة الطرب الغرناطي في كل تاريخ المغرب العربي.

أي مستقبل للطرب الغرناطي ؟

يواجه الطرب الغرناطي مشكل البقاء والاستمرارية. للأسف، القليل من الشباب المكون يستمرون في أداء هذه الموسيقى، وقد وصل بعضهم مستويات جيدة ولكنهم يتخلون بعد سنوات ويضيع كل ما تعلموه من موسيقى وقصايد وغرناطي وغيرها.

إذا، ينبغي أن نبدأ مجددا من الصفر مع شباب جديد... الجيل الحالي غير شغوف بالطرب الغرناطي وهذا الولع بالضبط هو الذي يمكن من التطور في وسط موسيقى الغرناطي.
لن يستطيع موسيقي ممتاز بدون شغف أن يتطور. وحاليا، الشباب يلجون إلى الجمعيات كوسيلة لملئ الفراغ ودون أي رغبة في الاستمرار.

من المهم المحافظة على هذه الموسيقى بالشكل الذي كانت عليه في الأصل وتجنب تغييرها بتطويرها. واليوم حينما نرى الفرق مع النوبات القديمة، فإننا نقترب أكثر فأكثر من الشعبي ونبتعد من الأسلوب الأصلي. ومن جانب آخر، أنا متحفظ بخصوص استعمال آلات جديدة وخاصة منها الإلكترونية. ينبغي المحافظة على النغمة الأصلية، وهي الطريقة التي نحافظ بها على الموروث الموسيقي. وأنا أتذكر عند مشاركتنا في مهرجان في إشبيلية مع مجموعات قادمة من أطراف المعمور، أن مدير المهرجان رفض أن نستعمل البيانو لأنه كان يريد فقط الآلات التقليدية.

محمد شعبان في مهرجان ربيع الأندلس الذي تنظمه جمعية نسيم الأندلس بوجدة، الدورة الرابعة، 22 دجنبر 2012

موسيقى الغرناطي هي مهددة أيضا بتحريف الكلمات التي تكون الأناشيد. فبعض المغنيين المبتدئين يجهلون معنى بعض الكلمات، وعوض أن يقوموا ببحث حول ذلك للفهم، فهم يكتفون بتغيير الكلمة.
الموسيقى الأندلسية غنية بكلمات بالعربية واللغة الأندلسية ممزوجة بكلمات عبرية... ينبغي المحافظة على الكلمات الأصلية وتجنب كل تحويل من أجل الحفاظ على هذا التراث.
في نهاية الأمر، أملي أن أجمع تلاميذي القدماء الذين كونتهم بالجمعية، من أجل إنشاء مجموعة موسيقية محلية. إلا أن الأمر غير ممكن حاليا، نظرا للانشغالات الشخصية والمهنية للكل، ولكنه أمر أحتفظ دائما بأمل تحقيقه.

سابقا بوجدة، لم تكن هناك الجمعية، ولكن عديد من الفرق : الشعاشي وفندي وابراهيم وشادلي والشيخ صالح... وكان الأساتذة يجتمعون لتكوين مجموعة واحدة وتمثيل المدينة. كانوا يتمرنون مجتمعين للقيام ببروفات النوبات التي ستقدم عند زيارة المغفور له الحسن الثاني.
إننا إذا استطعنا أن ننشئ مجموعة تضم أكبر موسيقيي المدينة، فأنا على يقين أنها ستكون إحدى أفضل المجموعات بالمغرب.

تمارين لأزيد من 100 موسيقي في مجال الطرب الغرناطي برئاسة الأستاذ محمد شعبان إعدادا لسهرة الذكرى العاشرة للخطاب الملكي لوجدة

جمعية أحباب الشيخ صالح

رأت جمعية أحباب الشيخ صالح للطرب الغرناطي النور بوجدة سنة 1985. وتسعى هذه المنظمة المجتمعية المرموقة إلى الانخراط بحماس ونكران ذات في جهود المحافظة على التراث الموسيقي، هادفة بالأساس إلى تأمين استمرارية هذا الموروث العربي الأندلسي العريق.

تحمل هذه الجمعية إسم أحد كبار أساتذة الطرب الغرناطي بالمغرب والجزائر، المرحوم الشيخ صالح شعبان، الذي كرس حياته من أجل نقل هذا الموروث التقليدي والمحافظة عليه إسعادا لجمهور واسع من المولعين وكذا لفائدة الأجيال القادمة.

تهدي الجمعية سعيها المتواصل من أجل استمرارية هذا الفن الأصيل، الذي مازال مجهولا نسبيا، إلى روح هذا الفنان الكبير. وتهدف الجمعية اكتشاف وإعادة اكتشاف الطرب الغرناطي الوجدي لجمهور عريض، وخاصة بالمشاركة في العديد من التظاهرات الثقافية، بالجهة، وبمختلف مدن المملكة وكذا بالخارج.

ترمي دورات التكوين والتدرج التي تقدم داخل الجمعية إلى تكوين موسيقيين ومنشدين سوف يستلمون بدورهم المشعل، سواء كمكونين أو في مواجهة الجمهور.

عروض جد منوعة ومزيج وشراكات فنية من مختلف الأنواع من أجل أن يعيش الطرب الغرناطي

لهذه الغاية، توفر الجمعية دروسا موسيقية وأناشيد وحصصا في الصولفيج والآلات الموسيقية لتلاميذ من أعمار مختلفة، في مستويين اثنين أساسا : أقسام تمهيدية (بين 6 و12 سنة) وقسم من مستوى عال يديره الأستاذ المعلم نصر الدين شعبان نفسه.

أما الفرقة الموسيقية للجمعية، التي يرأسها الأستاذ نصر الدين شعبان، نجل الفقيد الشيخ صالح، فهي تمثل، منذ ثلاثة عقود، الطرب الغرناطي للمغرب، في صورته التقليدية الخالصة، خلال أرقى التظاهرات الثقافية المنظمة عبر العالم، وخاصة بكندا والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا (إسبانيا، فرنسا، اليونان، هولندا وسويسرا)، وبالشرق الأوسط والمغرب العربي (الجزائر).

نظمت الجمعية أيضا مباريات موسيقية للطرب الغرناطي لطلبة الجامعة الأمريكية وليامس أند ميري بفرجينيا (وليامسبورغ) حيث تمت معهم برمجة العديد من الحفلات الموسيقية بالمغرب والولايات المتحدة الأمريكية.

من جانب آخر، سجلت الجمعية عددا من الأقراص المدمجة للطرب الغرناطي ولأنواع موسيقية أخرى، كالمديح والملحون.

حياة كاملة من الولع وقريبا انتولوجيا للطرب الغرناطي

أحمد فقير
رئيس جمعية زرياب

ولد الكاتب بوجدة سنة 1960 وبدأ مساره في سن 14 سنة وتابع دراسته الموسيقية في الموسيقى الغرناطية والأندلسية بوجدة، وهو حاصل كذلك على الإجازة في القانون العام. وقد كون سنة 1986 مجموعته الخاصة للموسيقى، تحت إسم جمعية الشيخ صالح، التي أصبحت بعد ذلك جمعية زرياب. وقد شارك في العديد من العروض بالمغرب وبالخارج وكرس جهوده بالأساس للبحث والمحافظة على الموروث الموسيقي الأندلسي، الغرناطي واليهودي-العربي ونشره. وقد جعل منه تكوينه الصارم بالقرب من كبار الأساتذة أحد موسيقيي الطرب الغرناطي الذين يحظون بالتقدير بالمغرب.

منذ نعومة أظافري، شاركت دائما في كل الأنشطة الثقافية والاحتفالات التي تنظمها المدرسة وكذا من طرف عائلتي وخاصة حفلات الزفاف. سنوات بعد ذلك في سنة 1974، عن سن 14 سنة، شعر والدي المرحوم، الذي كان يعمل في الفلاحة، رغم كونه لم تكن لديه أية فكرة عن الموسيقى، بولعي بالموسيقى والغناء، فاصطحبني للتسجيل في الجمعية الأندلسية للطرب الغرناطي التي كان مقرها في ذلك الوقت بالمركز الثقافي قبالة ساحة باستور الحالية، من أجل تحقيق حلمي وتعلم الموسيقى عموما والأشكال الأندلسية والغرناطية بالخصوص.

في حضن هذه الجمعية، التي كانت الوحيدة للطرب الغرناطي آنذاك والتي تعد الأقدم بوجدة (أسست سنة 1921 من طرف المعلم الشيخ

أعضاء فرقة الجمعية الأندلسية في حفلة وهم يحيطون بالمعلم الشيخ صالح شعبان

محمد بن اسماعيل الذي قدم من الجزائر)، تعلمت مبادئ الطرب الغرناطي وبدأت أعزف على بعض الآلات. وقد مر كل الموسيقيين والفنانين الكبار في موسيقى الغرناطي من جيلي بوجدة، من هذه الجمعية.
تعلمنا من الأستاذ الكبير محمد شعبان، نجل الشيخ صالح شعبان. والشيخ محمد شعبان هو بالنسبة لي من أفضل الموسيقيين المغاربيين، وهو أيضا من ضمن أبرع عازفي البيانو الذين يعرفهم حاليا الطرب الغرناطي.

بقيت بالجمعية لمدة 12 سنة، من 1974 إلى 1986. وخلال هذه المدة، شاركنا في العديد من الحفلات على الصعيد الوطني والعالمي. ومن بين المناسبات المنظمة التي ظلت راسخة في ذهني، الحفلة التي قمنا بها بإشبيلية بإسبانيا سنة 1981، بمناسبة المؤتمر العالمي للشبيبة الموسيقية : لقد كان حدثا مهما دام عشرة أيام وشارك فيه موسيقيون من أزيد من 30 بلدا.

لقد مثلنا المغرب في هذه المناسبة برفقة الدكتور وعالم الموسيقى المرحوم عبد الرحمان فنيش ومدير المعهد الموسيقي بالمغرب المرحوم إدريس الشرادي. وخلال أحد المؤتمرات، أثبت الدكتور فنيش بأن النشيد الوطني الإسباني مشتق من نوبة أندلسية مغربية هي نوبة الاستهلال. وللدلالة على نظريته، قمنا بعزف النشيد المذكور ثم جزءا من نوبة الاستهلال. وقد اندهش الحضور بالتشابه وتلى ذلك نقاش واسع ثقافي وتاريخي.

في سنة 1986، غادرت الجمعية الأندلسية وأسست مجموعتي الخاصة للموسيقى الأندلسية تحت إسم الشيخ صالح، والتي أصبحت فيما بعد جمعية زرياب. ومنذ ذلك التاريخ، عكفنا أساسا على البحث والمحافظة ونشر التراث الغرناطي الغني الذي يستمر بالمغرب، وخاصة بوجدة، والذي تعتبر أهم مصادره التقليد الشفوي الذي بفضله انتقلت مختلف الأشكال الأندلسية إلى المنطقة المغاربية بواسطة الأندلسيين المسلمين واليهود الذين

جوق جمعية السلام

هاجروا في حقب مختلفة، وخاصة في الفترة ما بين 1232 و1492. وقد شاركنا في العديد من المهرجانات واللقاءات والمؤتمرات الوطنية والعالمية بالجزائر والعراق وعمان وفرنسا وإسبانيا وسويسرا. وكانت الحفلات العديدة التي أقيمت دائما تتمحور حول مواضيع الحب والتسامح والسلام. وقد ظلت هذه الحفلات محفورة في ذاكرتي.

منذ 1999، مثلت مجموعتنا زرياب الجالية اليهودية المغربية في تظاهرة أزمنة المغرب بباريس، في إطار حفل يلخص جيدا تقبل الآخر والحياة المتقاسمة بين اليهود والمسلمين. وقد شاركنا في حفل آخر وفق نفس الروح، بمدريد في دجنبر 2003، والتي نظمتها مؤسسة عالم متناغم، التي أسستها وترأسها أميرة اليونان إيرينا، ومركز بيريس للسلام برئاسة السيد إسحاق سيبوني، والمجلس الفلسطيني للصحة، الذي يرأسه الدكتور حكمت الأجوري ومجلس الجالية اليهودية المغربية التي يرأسه السيد سيرج بيرديكو. وقد خصصت الأموال التي تم تحصيلها بهذه المناسبة لفائدة المراكز الاستشفائية الفلسطينية.

بواسطة مجموعة زرياب، التي تضم أجود الموسيقيين المغاربيين، نعمل على إحياء الموسيقى اليهودية المغربية كما عايشها وأحبها المغاربة، مع محاولة استعادتها انطلاقا من أصولها. وفي هذا الاتجاه، نحن نستجيب لطلب جمهور مغربي ويهودي من أصل مغربي عريض. وقد كنا دائما على استعداد للتعاون مع مغنيين كبار وأساتذة للموسيقى اليهودية الأندلسية، سواء على شاشة التلفزيون أو من خلال المهرجانات، مثل المرحوم سامي المغربي، وحاييم لوك وفرانسواز أطلان وميشال أبيطان ورايموند البيضاوية وعبد القادر شعو ونسيمة شعبان وآخرون كثر.

لا يمكنني أن أحيط بكل أنشطتي خلال ثلاثين سنة من المسار الموسيقي، ولكن العديد من المهرجانات تركت بصماتها في ذاكرتي، كالتظاهرات التي أشرت إليها والتي تضاف إليها مشاركات أخرى كحضورنا في مهرجانات الصويرة ومكناس وفاس وأرفود وسجلماسة وغيرها.

أعمل حاليا مع المجموعة على مشروع هام جدا تضطلع به جمعية رباط الفتح بالرباط والذي أوليه اهتماما خاصا، ويتمثل في إعداد وإنجاز انتولوجيا الطرب الغرناطي. وقد بدأنا في التسجيل منذ بضعة شهور. إنها عملية أخاذة ومتطلبة كثيرا، لكنه من دواعي الشرف والافتخار بالنسبة لنا الإسهام في هذا المشروع الذي سيمتد لفترة سنتين أو ثلاثة.

الجمعية الموصلية

الجمعية الموصلية للطرب الغرناطي
Association Al Moussilia de la Musique Gharnatie

يدير الجمعية الموصلية للطرب الغرناطي، التي يوجد مقرها بدار الشباب ابن سينا بمدينة وجدة الألفية، السيد بدر الدين بلعياشي، الرئيس الحالي الذي يؤمن لها الاستمرارية. لقد أنشئت الجمعية في 25 نونبر 1985 من طرف مجموعة من محبي وعشاق هذا النوع العربي الأندلسي، وعلى رأسهم الحاج عبد القادر الواسطي، الذي أصبح رئيسها الشرفي، وهي تعمل على المحافظة على هذا الموروث الثقافي الثمين الضارب في جذور التاريخ.

تشتمل أنشطة الجمعية على قسمين : الأول قسم المشتل المخصص للمبتدئين الذين يتابعون مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع دروسا في الإنشاد وفي العزف وفي الصولفيج، وتؤمن بالتالي تكوين وتدرج صغار السن. ويمثل هذا الفصل مفخرة للجمعية، كإطار يرمز لتقاليد النقل الشفوي لهذه الموسيقى عبر القرون وحيث الشبان الذين ولوجوا المدرسة صغارا يتمنون إثبات أحقيتهم ضمن مجموعة الكبار ويثيرون إعجاب العديد من الجماهير بنضجهم الفني.

أما الفصل الثاني، ويسمى العرضي أو التمثيلي، فيتكون من زهاء ثلاثين موسيقيا هواة من أعمار مختلفة والذين يسعون، سنة بعد سنة، لتعلم المزيد من النوبات والقصايد، مع التفتح على مجموع التراث العربي الأندلسي، وخاصة موسيقى الآلة والمالوف من أجل تمثيل الجمعية على أحسن وجه في مختلف التظاهرات الثقافية والفنية، على الصعيد المحلي أو الجهوي أو الوطني (تخليد الأعياد الوطنية أو الدينية، المشاركة في العديد من مهرجانات الموسيقى العربية الأندلسية وفي كل دورات مهرجان الطرب الغرناطي لوجدة، وفي مهرجانات الموسيقى الأندلسية لفاس والدار البيضاء أندلسيات وطنجة وكذا في تظاهرات وطنية) أو الدولي (بالجزائر، بتلمسان والجزائر العاصمة ومستغانم وبسوريا بدمشق وحلب وبالأردن بمهرجان جرش وبالبحرين وأيضا بأوروبا، وخاصة بفرنسا من خلال عدة جولات بالجهات، وباليونان وهولندا وإسبانيا، والبرتغال وبريطانيا العظمى).

رغم كون الجمعية تُمول فقط بوسائلها الذاتية (اشتراكات أعضائها وهبات المولعين والمحبين)، فهي لم تتوانى في الانفتاح على آفاق جديدة واستكشاف شراكات مثمرة (عمومية وخصوصية) مع قطاعات وزارية، وولايات ومجالس منتخبة ومديريات جهوية وجامعات وأكاديميات، وكذا مع شركاء آخرين يشجعون مشاريع طموحة للارتقاء بالرصيد الموسيقي الغرناطي وتعميمه في أوساط الفئات التي تجهله. ومن بين الانشغالات والتحديات الكبرى أمام أعضاء مكتب الجمعية الموصلية للطرب الغرناطي لوجدة، تأمين الخلَف بواسطة عمل تعليمي تمهيدي وبالمحافظة على الموروث مع ضرورة توفير حصص للمبتدئين من مختلف شرائح الأعمار وبخاصة الصغار والشباب، رغم كل العوائق التي قد تخرب المجهودات المبذولة بتطوع وطموح كبير.

بالفعل، فإن الجمعية سبق لها في السنوات السابقة أن سجلت ثلاث أقراص مدمجة :

- الأول، بدعم من جمعية وجدة أنجاد المغرب الشرقي، وهو أول تسجيل للتراث الغرناطي على هذا النوع من الحوامل ؛
- الثاني، نوبة الغريب، بدعم من وزارة الثقافة، في إطار انطولوجيا الطرب الغرناطي بالمغرب ؛
- الثالث، «قنطرة على البحر»، النوبة الجديدة (أو الخامسة والعشرون)، والذي أداها مؤلفها الفرنسي ميشال مونتانارو.

في مجال البحث الأكاديمي، شكل إصدار كتاب «الموسيقى الأندلسية في الغرب الإسلامي»، بدعم من وكالة جهة الشرق، إسهاما في بلورة المحافظة على هذا التراث. كما تم تخصيص ميزانية كافية لإعداد موقع الجمعية على شبكة الانترنيت وتواجدها على شبكات التواصل الاجتماعي، وكذا استعمال التكنولوجيات الرقمية للحفاظ على الصور والوثائق السمعية البصرية لكل التظاهرات الكبرى التي تنظمها طوال السنة.

يمكن أن نشير على سبيل المثال وكنموذج رئيسي تنظيم المهرجان الدولي للطرب الغرناطي – صنف شباب ربيع غرناطة – والذي حظيت دورتاه الرابعة والخامسة بشرف وامتياز الرعاية السامية لصاحب الجلالة، أيده الله، مما شكل علامة فارقة لدعم على أعلى مستوى للأهداف المرسومة من طرف الجمعية، خاصة في شق المحافظة على هذا الموروث التليد ومن أجل ترسيخه بجهة الشرق، وكذا انتشاره على الصعيد العالمي.

في الموسيقى كما في الطب، هناك أخلاقيات ومنهجية علمية

الدكتور طه الهدام
طبيب وفاعل جمعوي

يمكن للكاتب أن يفخر بأزيد من ربع قرن من التجربة والنشاط في المجال وباحتكاكه بأساتذة كبار، ومنهم ثلاثة بوجدة داخل جمعيات مرموقة. وهذا الأمر يمنحه رؤية واضحة ليستشف بحكمة المستقبل ويمنح مفاتيح لتنمية الطرب الغرناطي بجهة الشرق وما أبعد منها.

لقد انطلقت قصتي الشخصية مع الطرب الغرناطي منذ نعومة أظافري، بفضل أبَواي، المنحدرين كلاهما من تلمسان بالجزائر، ولكني أدين بالكثير بالخصوص لأمي التي كانت تستمتع طول اليوم بالاستماع للموسيقى الأندلسية.

مازلت أتذكر أننا وقتما دخلنا للبيت، كان بإمكاننا الاستماع لمقطع من الموسيقى الأندلسية.

بحكم أصولها، كانت أمي تميل إلى شيوخ تلمسان، مثل نوري الكوفي وعبد الكريم دالي، وهما فنانين كبيرين، ولكنها كانت تستمع أيضا إلى مقاطع أخرى كثيرة لعدة أساتذة كبار. فقد كبِرت هكذا مع تواجد مستمر للطرب الغرناطي، إلى غاية سنة 1984 عندما غادرت المغرب لعقد من الزمن لمتابعة دراستي بفرنسا.

الجمعيات، ملاذ لهواة الغرناطي

خلال كل هذه السنوات التي كنت بعيدا فيها عن الوطن، بقيت مرتبطا بموسيقى الغرناطي، بل كبر حبي لهذا الطرب مع مرور الوقت.

بعد عودتي سنة 1994، حددت لنفسي هدفين أساسيين أحدهما كان الاهتمام بالطرب الغرناطي.

هكذا أسست جمعيتي الأولى مع الأستاذ نصر الدين شعبان، نجل الأستاذ الكبير محمد شعبان، الذي أعطى الكثير للطرب الغرناطي بوجدة. وقد أنشئنا جمعية مع مجموعة من 11 شخصا في البداية. وللأسف، انسحب الأعضاء الواحد تلو الأخر لخلافات حول مواقف فنية. وفي النهاية، لم نبق إلا نحن الثلاثة : أنا والأستاذ نصر الدين وحرمه.

السيد معاذ الجامعي، والي جهة الشرق ومحمد امباركي، المدير العام لوكالة جهة الشرق، يقدمون عددا من الهدايا للدكتور طه الهدام خلال التكريم الذي خصته به الجمعية الموصلية، يوم 7 ماي 2018، بمناسبة مهرجان ربيع غرناطة السادس

دام تعاوننا خمس سنوات قبل أن أضطر إلى الانسحاب بدوري بسبب مشاكل صحية صعبة.

بعد مغادرة جمعيتي الأولى، بقيت لما لا يقل عن ثلاث سنوات بدون نشاط موسيقي، ولكن دائما مرتبطا بالطرب الغرناطي. إلا أنني لم أستطع أن أظل بعيدا عن هذه الموسيقى التي تمثل الكثير بالنسبة لي، ولذلك التحقت بالجمعية الموصلية وأصبحت رئيسها بالتعاون مع الأستاذ الطنطاوي.

لكن لم أكن أتوفر على الوقت الكافي بسبب عملي المتطلب كطبيب، ولم أكن أستطيع التفرغ جيدا للجمعية. لذا قدمت استقالتي من منصب الرئيس. رفض كل الأعضاء هذه الاستقالة وحاولوا إقناعي بالبقاء، ولكن نظرا لالتزاماتي المهنية وبعض الهموم الصحية، اضطررت إلى وضع حد لهذه التجربة الغنية. بعد مغادرة جمعية الموصلية، أخذت قسطا من الوقت للتفكير والراحة امتد زهاء السنتين، مع استمرار الارتباط بالموسيقى الأندلسية، بالاستماع اليومي لقطع من مجموعتي التي تخص سيدة مسنة بوجدة. وبعد أن قمت بالواجب وبعد أن عادت إلى حالتها الطبيعية، وكتعبير عن عرفانها، أصرت هذه السيدة على إهدائي مجموعتها من الأسطوانات 33 لفة لمهرجان القاهرة لسنة 1932، وكذا مشغلها للأسطوانات.

لكوني كنت قد ورثت من والدتي نفس المجموعة، فقد أصبحت لدي نسختين من هذا الحفل.

بعد فترة من ذلك، حضينا بزيارة محمد ديدي، وهو فنان جزائري كبير يقيم بمرسيليا، فأهديته النسخة التي ورثتها عن أمي.

فنانو الجمعية الموصلية

كما تعلمون، توجد ثلاث مدارس أندلسية : مدرسة تلمسان ومدرسة الجزائر العاصمة ومدرسة قسطنطينة. هنا بوجدة، نهتم كثيرا بمدرسة تلمسان ونمارس هذه الموسيقى. ولكن العديد من الجمعيات يمارسون أيضا موسيقى الجزائر العاصمة، كما الحال بالنسبة للأستاذ الطنطاوي الذي ينفرد بهذا الاختيار. وهو يعزف أيضا الشعبي المتداول بالجزائر العاصمة، والتي تعد موسيقى أندلسية محبوبة جدا.

خلال تعاوني مع الجمعية الموصلية التي استمر لأكثر من ثلاث سنوات، شاركنا في العديد من الحفلات الوطنية والدولية.

تضم 150 قرصا مدمجا لمختلف الفنانين والتي اقتنيتها خلال سفرياتي لمدينتي الجزائر وتلمسان أو لفرنسا. أمتلك أيضا مكتبة تضم كتبا تهم الموسيقى الأندلسية، ومنها المؤلف الأهم بالنسبة لي والذي كتبه سيد أحمد سيري وكريستيان بوشي سنة 1984، واللذان لم يتمكنا من إنهاءه بسبب أحداث مختلفة، وقد تكفل بإتمامه بعد ذلك إدمون ديفيل.

التوثيق الموسيقي من أجل البقاء

بالتحدث عن مجموعتي، أتذكر طرفة صغيرة، في أحد الأيام، نودي علي لحالة استعجالية غير أن السيدة المسنة مرت بفترة إحباط وانهيار فرغبت في استعادة علبة الأسطوانات ومشغل الأسطوانات، التي كان لها بها في الواقع ارتباط قوي. وهكذا فقدت أحد أهم العلب في مجموعتي الموسيقية.

بعد سنتين من التوقف، قلت مع نفسي أنه من الضروري أن أعود نحو الموسيقى الأندلسية التي أعشقها، لأنه كانت دائما لي تلك الرغبة في العمل في إطار جمعية للخروج من رتابة الحياة اليومية.

لذلك، فقد تكفلت بجمعية ثالثة تسمى نسيم الأندلس، مع الأستاذ عمر شهيد.

ما يثير الاهتمام في هذه الجمعية هو أن الأستاذ شهيد متحفز جدا وله علاقات فنية كثيرة، ليس فقط بالمغرب ولكن أيضا بالجزائر أو فرنسا. إنه يتحرك دائما.

في السنة الماضية فقط، انتقلت الفرقة إلى تطوان والدار البيضاء من أجل تسجيل مع إحدى القنوات التلفزيونية، مالقة في أكتوبر ومدينة الجزائر في دجنبر، وفي نفس الشهر، شاركنا في مهرجان أندلسيات بالدار البيضاء التي دعينا إليه من 14 إلى 16 دجنبر 2017. وهناك بدون توقف أحداث مبرمجة والكثير منها في الأيام القادمة.

من جانب آخر، ننظم بأنفسنا سنويا، مع الجمعية، مهرجانا يسمى ربيع الأندلس الذي يستمر عموما يومين والذي ندعو أثناءه نجما جزائريا (رجل أو امرأة)، مع فرقته الموسيقية، وكذا مجموعة مغربية من الدار البيضاء أو فاس الذي يعزف موسيقى الآلة المغربية.

وهكذا استأنفت تدريجيا هذه الأنشطة مع نسيم الأندلس، وهي الجمعية التي أشعر حاليا بالمتعة للعمل فيها.

بفضل سنوات الخبرة مع الجمعية، وكذا مع الجمعية الموصلية سابقا، كان لي حظ الاحتكاك بأساتذة كبار كثر وبالتعرف على موسيقيين استثنائيين، بفرنسا وبالجزائر في مدينة تلمسان، والذين أحتفظ معهم بعلاقات جيدة. كنت دائما أعتبر نفسي شغوفا بالموسيقى، ومعنيٌ أكثر بالنغم أكثر من اهتمامي بالنصوص، لذا فإني اهتم أكثر بالآلات.

بمعايشتي للعديد من الموسيقيين بالمغرب والجزائر، فإن الاختلاف الكبير الذي يسائلني ويحزنني، بين ما نقوم به في المغرب وما يجري بالجزائر، أي أننا بوجدة أو حتى بالرباط، لم نطور كثيرا الطرب الغرناطي من حيث النغم خلافا لنظرائنا الجزائريين. وأجد أيضا أن الطرب الغرناطي لم يعالج كثيرا مقارنة مع موسيقات أندلسية أخرى كموسيقى الآلة مثلا.

في نفس الاتجاه، لاحظت أن بعض الموسيقيين بوجدة لا يتوفرون حتى على وثائق موسيقية مسجلة، بعكس إخواننا الجزائريين الذين كونوا، في غالبيتهم، مجموعات خاصة.

الدورة 25 للطرب الغرناطي لوجدة (يونيو 2017)، المنظمة من طرف وزارة الثقافة، ووكالة جهة الشرق، وولاية جهة الشرق، ومجلس جهة الشرق وبلدية وجدة

ليس من الطبيعي أن لا يستمع موسيقي في الطرب الغرناطي إنتاجات أندلسية أخرى وأن لا يتوفر على مرجعية عن هذه الموسيقى.

الأسئلة الكبيرة التي ترهن مستقبل النمط الغرناطي بجهة الشرق

من أجل تثمين الغرناطي، يبدو أساسيا البحث عن جمع قرابة 20 موسيقيا من النخبة ووضع إثنين أو ثلاثة في كل جمعية، من أجل إنشاء مجموعة جهوية تمثل جهة الشرق على الصعيد الوطني وبالخارج، كما هو الحال بالجزائر، حيث نجد مجموعة جهوية بتلمسان وأخرى بالجزائر العاصمة وبالقسطنطينة. لقد كانت هناك محاولات لجمع الموسيقيين على صعيد مدينة وجدة، لكنها لم تتجسد في الواقع.

أظن أنه من المهم من أجل تثمين وتنمية الطرب الغرناطي بجهتنا أن نجد أرضية توافق بين الجمعيات لإحداث مثل هذه المجموعة. وأريد أن أختم هذا السرد الشخصي بإثارة إشكالية هامة تعترض المولعين بالطرب الغرناطي ألا وهي إشكالية أماكن العمل.

تواجه كل جمعيات جهة الشرق هذا المشكل. وينبغي العلم بأن كل المقرات المتوفرة حاليا لا تتناسب مع تلقين الطرب الغرناطي، مما يجعل من الصعب ممارسة التداريب ويعرقل بالتالي تطور هذه الموسيقى.

أضيف من جانب آخر بأنه من الضروري أن تمنح المندوبية الجهوية لوزارة الثقافة المزيد من الأهمية لهذا الصنف الموسيقي، وخاصة من أجل تحديد المشاكل التي تعترض هذه الموسيقى، ومن يمارسها ومن يروج لها، كما حصل ذلك بالجزائر من قبل وزارة الثقافة الجزائرية التي فوضت لسيد أحمد سيري تحديد مشاكل زهاء 100 جمعية تعنى بالموسيقى الأندلسية للبلاد.

من المشاكل الكبرى التي تواجهها الجمعيات الجزائرية توجد مسألة توفر أماكن عمل مناسبة للموسيقى الأندلسية.

حوزي تلمسان

مع الدكتور طه الهدام

حوزي تلمسان هو نوع شعري - موسيقي متفرع عن الموسيقى العربية الأندلسية وبشكل خاص عن الشكل الغرناطي. وتواجد الحوزي يمثل نوعا من «التخصيص الموسيقي المجالي» الذي يحدد الطرب الغرناطي في وسط المدينة والحوزي في المحيط القريب، بينما العروبي والبدوي والغربي في المجالات الترابية الأبعد.

كلمة حوزي تتفرع من فعل «يحوز» أي «يفصل أو يعزل»، والتي تحيل إلى ضاحية قسنطينة، حيث يبدو أنه ظهر لأول مرة منذ القرن الخامس عشر حيث كان يُعزل المهاجرون الذين لم يكن بإمكانهم الاستقرار بالمدينة في وقتها. وقد تطور على غرار الملحون بالمغرب والزجول بتونس. وقد انطلق هذا التيار الموسيقي من ضواحي تلمسان وانتشر في وسط الساكنة الحضرية انطلاقا من القرن السابع عشر. وهو حاليا يمارس أيضا من طرف مدارس الجزائر العاصمة وقسنطينة (المالوف).

يقدم المهرجان الوطني للحوزي لتلمسان العديد من العروض

يتميز الحوزي أساسا باستعمال اللغة الشعبية الدارجة لوقتها. وهكذا، فإن النصوص مكتوبة بلغة دارجة رفيعة لتلمسان. لكن الحوزي يظل إنتاجا حضريا عربيا. وجل فناني وشعراء هذا النوع هم بالتالي منتسبون لأماكن ذات رمزية بالنسبة للمدينة.

تأخذ قطع الحوزي شكل قصائد طويلة مكونة من أقفال وأدوار. ونغم الحوزي يستند على ثمان صيغ نجدها في نوبة الطرب الغرناطي : موال، عرق، غريب، رمل الماية، جاركا، صيكا، زيدان ومزموم.

وفضلا عن النوبات، هناك العديد من التشابه ونقط التقارب بين الحوزي والغرناطي الذي يتفرع منه. ويمكن أن نلاحظ ذلك في الإيقاعات المستعملة، والقواعد الموسيقية أو أيضا في المظاهر الجمالية والبنيوية.

يمكن القول بأن الحوزي بالنسبة للغرناطي هو بشكل ما كالزجل بالنسبة للموشح.

إن مبتكري هذا الشكل ينحدرون كلهم من تلمسان وأشهرهم دون شك بنمصايب وبن تريكي وبنساهلة. وقد تأثر هؤلاء الفنانون بالتراث العربي الأندلسي لتطوير هذا التيار الموسيقي الجديد. غير أنه يمكن التأكيد بأن سعيد المنداسي كان أول شاعر شعبي ورائد هذا النوع الموسيقي في القرن السادس عشر.

على الصعيد الموسيقي، يعتبر مولد الحوزي منعطفا في التاريخ الثقافي، مكن من إغناء التراث الموسيقي الحضري بالمنطقة المغاربية. وقد مكنت عبقرية شعراء وموسيقيي الحوزي بالتالي من التعبير وبنفس طريقة سابقيهم ولكن هذه المرة باللسان الدارج. لقد التحق العديد من الفنانين وطوروا هذا التيار الفني. ومن أهمهم، الأستاذ أحمد حميدو الذي كتب حول النص الموضوع على موسيقى الحوزي : «*إنه تعبير حر، في العمق والشكل، وهو يتوجه للقلب وللأذن ويبدو أن هناك رابط بينه وبين الموسيقى. كل أشعاره مؤلفة بغرض الإنشاد. والكلمة، في الأغاني، هي في نفس الوقت موسيقى وأغاني، والإيقاع الشعري والإيقاع الموسيقى يتجمعان فيه، وتختلطان فيه بشكل وثيق*».

يقول السيد محمد بكوشة : «*يظهر شَعبا عاطفيا ووديعا، شعب من الشعراء والموسيقيين والعلماء، إن الحوزي بسحره وقصائده الرومانسية، تعبير عن تقليد فني قديم وكذا عن نمط عيش المجتمع الحضري القديم*».

لقد أثر الحوزي بقوة على الشعبي. وتبرز الأهمية التي يحظى بها عبر المهرجان الوطني المحدث سنة 2006، والذي عرف دورته العاشرة في 2017 بقصر الثقافة بتلمسان. وتمكن هذه التظاهرة سنويا من التأكيد على مدى حيوية هذا النوع الموسيقي ويعبأ في كل دورة العشرات من المغنين والمجموعات الموسيقية.

جمعية زرياب، مجموعة الطرب الغرناطي لولاية وجدة

أنشئت هذه الجمعية في فبراير 1986 من طرف مجموعة قليلة من الموسيقيين ومغنيي الغرناطي الذين استطاعوا التحكم في هذا الفن النبيل بمجاورة المعلم الشيخ صالح. وقد كانت الجمعية في بداياتها تحمل اسم «جمعية الشيخ صالح»، إحالة إلى المرحوم المعلم الكبير الشيخ صالح الذي ساهم بشكل كبير في تنمية الموسيقى الغرناطية على صعيد مدينة وجدة.

من بعد ذلك، تم تغيير هذه التسمية لتصبح «جمعية زرياب، مجموعة الغرناطي لولاية وجدة» إحالة إلى أستاذ كل الأزمنة زرياب، الذي وضع أسس النوبة الأندلسية.

لقد كان هدف إنشاء هذه الجمعية تكوين جوق متخصص في أداء الموسيقى الغرناطية بشكل أمين يحافظ على تقاليد هذا التراث الموسيقي الأندلسي. وهي حاليا تعنى بالأساس بالبحث والمحافظة على هذا التراث الموسيقي الأندلسي ونشره بوجدة، ومصدرها الرئيسي هو التقليد المنقول شفويا والتي وصلت عبره الأشكال الموسيقية لأهل الأندلس المسلمين الذين هاجروا في مختلف الحقب التاريخية من الأندلس إلى المنطقة المغاربية.

من جهة أخرى، تهدف الجمعية إلى المساهمة في تنمية الموسيقى الأندلسية الكلاسيكية وإلى نشرها في أوساط الشباب، وأيضا إلى التعريف بهذا التراث عبر تنظيم العديد من العروض العمومية، وكذا بالمشاركة في الندوات واللقاءات حول المواضيع المتعلقة بالفن الموسيقى الأندلسي.

من جانب آخر، أحدثت الجمعية مدرسة لتعليم موسيقى الغرناطي حيث يدرس العزف على مختلف آلات وأغاني الطرب الغرناطي، من أجل الإسهام في تكوين الأطفال بحيث

أحمد فقير يرافق معرض «Entre nous, l'Oriental Marocain» الذي يشجع جهة الشرق وفنانيها بمعهد العالم العربي (يناير 2015)

يتواصل حب هذا التراث ويتسنى نشره في أوساط الشباب. وقد شاركت هذه الجمعية المعروفة بنشاطها الكبير في العديد من التظاهرات والأحداث الجهوية وخاصة في دورات عديدة من مهرجان موسيقى الغرناطي بوجدة.

كما شاركت على الصعيد الوطني في عدة مدن كالدار البيضاء (بمسرح محمد الخامس مع سامي المغربي وبمهرجان الملحون) وبالصويرة (8 دورات لمهرجان الأندلسيات الأطلسية)، وفي العديد من دورات ملحون سجلماسة بأرفود والريصاني، ومكناس (مهرجان وليلي)، وفجيج (مهرجان الواحات)، وبالجديدة (مهرجان الملحون) وفي العديد من التظاهرات الأخرى.

شاركت الجمعية كذلك في العديد من التظاهرات على الصعيد الدولي في مختلف الدول، على سبيل المثال :

- الجزائر (مهرجان المديح لتلمسان ووهران) ؛
- العراق (المهرجان الدولي لبابل) ؛
- فرنسا (في إطار تظاهرات أزمنة المغرب وبمعهد العالم العربي) ؛
- إسبانيا (سهرة دولية بمدريد).

إضافة إلى ذلك، شاركت الجمعية في تسجيل العديد من السهرات والأمسيات في محطات تلفزيونية وطنية مغربية.

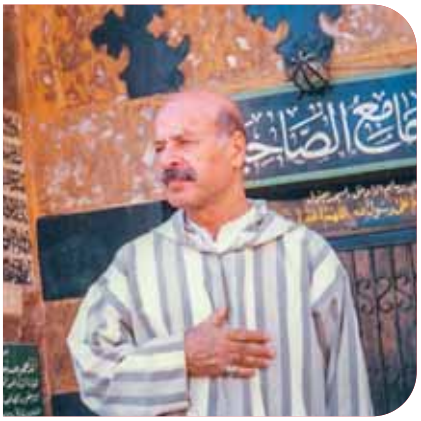

أكثر من نصف قرن من الحياة الثقافية الجمعوية مخصصة أساسا للغرناطي

عبد القادر الواسطي
فاعل ثقافي جمعوي

شهد هذا الرجل الولوع بالغرناطي وعمره حاليا يفوق الثمانين كل تطورات هذا الفن منذ الاستقلال. وإلى جانب ولعه بالموسيقى، فإن هذا الإطار السابق في وزارة الشبيبة والرياضة يناضل أيضا من أجل المسرح وفي مختلف الجمعيات الثقافية. وتستفيد دار الشباب ابن سينا بوجدة من خبرته أيضا.
ويبدو أن مفتاح استمراريته الفنية الطويلة هو نشاطه الثقافي الخارق.

تطور

الطرب الغرناطي بوجدة ابتداء من 1921 بفضل الشيخ بن اسماعيل الذي أحدث أول جمعية لموسيقى الغرناطي وجمعت العديد من هواة هذا النوع الفني. وخلال فترة الاستعمار، كان الشعب المغربي والشعب الجزائري جارين متقاربين.
لقد تأثرت موسيقى الغرناطي بالمنطقة الشرقية بالجزائريين الذين استقروا بوجدة. وبالتالي، فإن الجمعية كانت تتكون في آن واحد من فنانين جزائريين ومغاربة. وبعد الاستقلال والعودة الكثيفة للجزائريين لوطنهم، انخفضت أنشطة الجمعية بشكل ملموس لعدة سنوات. وبعد موت الشيخ صالح، خلفه الشيخ الزموري، ثم عبد الحق ميري، ثم محمد شعبان.

ولع شخصي وبالطبع جماعي أيضا

بالنسبة لي، بدأت الموسيقى في سن العشرين بغاية التدخل للمساهمة في إنقاذ الجمعية الأندلسية التي كانت تواجه العديد من الصعوبات والمساعدة على تأمين استمراريتها. خلال سنوات السبعينات حاولنا، أنا وعدد من الأصدقاء الولوعين بالغرناطي، إحياء الجمعية، فقمنا بتكوين مكتب جديد مع الحرص على المحافظة على التسمية الأصلية : الجمعية الأندلسية للغرناطي. وقد اخترنا مقرا للجمعية المركب الثقافي الكائن قبالة ساحة باستور الحالية. وقد استطعنا من جديد استقطاب أعضاء والعديد من الفنانين الذين أصبحوا أساتذة كبار بعد ذلك. وقد كنا نقترح في البداية إضافة إلى الغرناطي أنشطة مسرحية وأدبية. وكانت الجمعية آنذاك تفتقد لوسائل مالية ومادية للعمل.

أعضاء جوق السلام في سهرة مرتجلة بين الأصدقاء

أعضاء المجموعة الأندلسية المحدثة سنة 1921 من طرف المرحوم الشيخ بن اسماعيل

بحثا عن الدعم، اتجهت الجمعية نحو السيد أحمد عصمان، المزداد بوجدة ومن الهواة الكبار للطرب الغرناطي، والذي كان آنذاك وزيرا أول للمملكة. ولم يتأخر هذا الأخير في تمويل مشاريع الجمعية وفي المساعدة في اقتناء عدد من الآلات الموسيقية، ومنها بيانو، وكذا تجهيزات المقر.

بطلب من السيد عصمان، صممنا وأنجزنا سنة 1978 نشيدا لفائدة مدينة وجدة. وقد نظم كلمات النشيد الشاعر الجزائري مفدي زكريا نفسه، بينما تكفل الملحن الكبير محمد بنعبد السلام بالتأليف الموسيقي بالتعاون مع الجمعية. وقد كنا نتوفر على جوق جيد في هذه الفترة وبذلنا ما في وسعنا للقيام بتقديم جيد. وقد كان السيد عصمان يستدعينا للرباط للقيام بعروض وكنا أحيانا نشارك في إحياء سهرات بمنزله.

إلا أنه، في سنة 1985، وقعت خلافات بين أعضاء مكتب الجمعية مما دفع جزءا منهم، وأنا من ضمنهم، إلى الانسحاب حفاظا على سمعة الجمعية وتجنب ضياعها. وقمنا بالتالي بإحداث جمعية جديدة «الجمعية الموصلية للطرب الغرناطي»، التي اتخذت مقرا لها دار الشباب ابن سينا. وقد لجئنا للسيد محمد شعبان، إبن الشيخ صالح، هرم الطرب الغرناطي بالمنطقة الشرقية، لتأمين تدريس الطرب الغرناطي. داخل الموصلية، كنا نتوفر على مجموعتين : مجموعة الصغار ومجموعة الكبار.

كان يؤطر مجموعة الكبار السيد أحمد الطنطاوي ومجموعة الصغار السيد نصر الدين شعبان، الذي انتقل بعد ذلك لتأطير صغار النادي الموسيقي التابع لمعمل الإسمنت بالعيون الشرقية.

نجاحات جماهرية ومشاكل حكامة

فترة زاهرة بدأت بالنسبة لأعضاء الجمعية الموصلية للطرب الغرناطي، والذي مثل بداية انطلاقة نهضتها الوطنية والدولية. وقد أحيت الجمعية مجموعة من الحفلات الموسيقية ببلدان عربية وغربية، كاليونان وسوريا والأردن والبحرين والجزائر وانجلترا والبرتغال واسبانيا وفرنسا.

مكنت هذه العروض المختلفة من التعريف بهذا النوع من الموسيقى الذي كان مجهولا تماما بتلك البلدان. وقد شاركنا كذلك في العديد من العروض بمختلف مدن المملكة وكذا بالخارج. وقد أصبحت الجمعية الموصلية معروفة على الصعيد العالمي.

بعد ذلك، في التسعينات، كان بعض أعضاء الجمعية يرغبون في أن تهتم الجمعية فقط بالطرب الغرناطي. فغادروا الجمعية وقاموا بإحداث مجموعة جديدة وهي جمعية النسيم الموجودة بحي لازاري. وقد كانت تضم فنانين جيدين ولعبت دورا على الساحة الموسيقية الغرناطية، لكن تم حلها سنوات قليلة بعد ذلك.

موسيقيو الجمعية الموصلية

داخل الجمعية الموصلية، تواصلت أيضا ممارسة أشكال موسيقية أخرى فضلا عن الطرب الغرناطي لجلب المزيد من الأتباع. وقد توالى العديد من الرؤساء في تسيير الجمعية، مثل السيد طه الهدام، وهو من الولوعين الكبار، وأحمد الطنطاوي وعبد ربه. غير أنه على إثر مشاكل مختلفة، انسحبنا من الجمعية مع بعض الأعضاء، كالسيد أحمد الطنطاوي الشهير. ثم قام بعد ذلك السيدان أحمد الطنطاوي ومحمد حيدا بتأسيس كيان جديد سمي «جمعية ابن الخطيب»، والتي مازالت تعمل.

لقد عملنا نحن بصورة غير نفعية لتثمين التراث الموسيقي الغرناطي وحمايته ولإعطائه انطلاقة عالمية، كما حصل ذلك بفاس، بالنسبة للموسيقى الأندلسية، عبر حدث سنوي كبير يعرف نجاحا ضخما ومشاركة العديد من الدول. ولكن للأسف، نحن ما زلنا بعيدين عن هذا المستوى، وخاصة بسبب الخلافات بين مختلف الجمعيات على صعيد مدينة وجدة والمقاربات الاقتصادية والمالية التي تختلف من جمعية لأخرى ومن شخصية لأخرى.

هذا لا يمكن أن يحصل إلا عبر تعاون الموسيقيين والجمعيات ووزارة الثقافة. هذه المكونات التي عليها أن تقرر وتعمل مجتمعة من أجل النهوض بالطرب الغرناطي.

مكون أساسي للهوية الجهوية

أريد أن أؤكد على حقيقة أن الطرب الغرناطي لم يحظ بالمكانة التي يستحقها كإحدى دعائم الثقافة للمنطقة الشرقية، سيما بسبب غياب أو تراجع وزارة الثقافة، الوصية الطبيعية، التي لم تضطلع بالدور الذي كان ينبغي أن تضطلع به. والطرب الغرناطي لن يتبوأ المكانة اللائقة به كتراث أصيل إلا إذا أولى المهنيون والهواة المستنيرين الأهمية للعمل والاتحاد عوض المجازاة الفورية.

المندوبية الجهوية للثقافة في وضع يسمح لها بالتدخل لتنظيم وهيكلة قطاع النشاط الفني ولتشجيع الجمعيات الأكثر استحقاقا، برعاية تظاهرات تشارك فيها الجمعيات ودعم الجهود التي تبذلها هذه الأخيرة لإعادة التوهج لصورة تدهورت كثيرا وبتقييم عمل بعض الأشخاص الذين بذلوا الكثير من الجهد. هناك حاليا عدد زائد من الجمعيات، في حين أن القليل منها ذات مستوى جيد. نبحث عن الكم أكثر من الكيف. إننا لا نقوم حتى بالتمييز ما بين الفنانين ذوي المستوى الرفيع وآخرين يندسون في الوسط لأسباب مادية. ولمواجهة هذا الضعف، من المهم الرجوع إلى المنهج الذي كان متبعا في السابق، بواسطة لجنة تحكيم قادمة من الرباط إلى وجدة لافتحاص وتقييم الجمعيات، ثم تصنيفها حسب درجة الاستحقاق.

من جانب آخر، ينبغي أن تكون التعويضات والدعم المقدم للجمعيات حسب القيمة الفنية بغية تشجيع الإبداع وتطوير الطرب الغرناطي. مدينة وجدة وجهة الشرق مشهورتان بالخصوص بالطرب الغرناطي، ونادي المولودية الوجدية الرياضي والموسيقى الفلكلورية... لكن مع الأسف، لم يعد الأمر كالسابق. ومن المهم، حسب رأيي، العمل على إعادة الاعتبار لهذه الجوانب التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من التاريخ المحلي والجهوي، وبالتالي من هويتنا.

حفلة كبرى لفرق الطرب الغرناطي بمناسبة الذكرى الرابعة عشر للخطاب الملكي بوجدة بتاريخ 18 مارس 2003، احتضنها مسرح محمد السادس بوجدة

الجمعية الإسماعيلية للطرب الغرناطي

أحدثت الجمعية الإسماعيلية للطرب الغرناطي، التي تعتبر من أقدم الجمعيات التي تعنى بالموسيقى الأندلسية على صعيد مدينة وجدة، سنة 1992 من طرف شقيقين، عمر السلامي (المتوفى سنة 2016) والطاهر السلامي اللذان يعتبران من المولعين الكبار بالطرب الغرناطي وهما أيضا موسيقيان بارعان، ويصحبهما عدد كبير من الفنانين والموسيقيين المشهورين، على غرار المرحومين غوتي الشياشي وعبد القادر العلوي.

في إسم الجمعية، هناك إحالة إلى الشيخ ابن اسماعيل، الأستاذ الكبير للطرب الغرناطي، ومؤسس أول جمعية لموسيقى الغرناطي بوجدة سنة 1921، والذي ساهم بشكل كبير في تنمية ونهضة هذا الموروث الموسيقي الأندلسي على صعيد مدينة وجدة وكل جهة الشرق.

إضافة إلى أزيد من ربع قرن من النشاط، شاركت الجمعية في عدد كبير من الأحداث المخصصة لموسيقى الغرناطي على الصعيد الجهوي، كالمهرجان السنوي للطرب الغرناطي بوجدة، وكذا على الصعيد الوطني في العديد من المدن المختلفة، كالدار البيضاء وفاس ومكناس وحواضر أخرى عديدة.

من جانب آخر، وفي سنة 2001، وبهدف نقل هذا الموروث الثقافي المهم للغاية للأجيال القادمة وتأمين الحفاظ عليه واستمراريته، أنشأت الجمعية مدرسة تعنى بتلقين قواعد موسيقى الغرناطي للفتيان والفتيات، كما تهتم كذلك بتعليمهم العزف على مختلف الآلات المستعملة في الطرب الغرناطي.
ولم تتوقف هذه المدرسة عن تكوين أطفال شغوفين بهذا الطرب وما زالت تواصل ذلك إلى اليوم.

في هذا الإتجاه، ومن أجل صيانة التراث الموسيقي الغرناطي، حرص أعضاء الجمعية على تقديم نوبات وقصائد موسيقى الغرناطي كما علمها إياهم أساتذتهم، الذين بدورهم تعلموها من الأستاذ الكبير الشيخ بن اسماعيل.

كما تضطلع الجمعية الإسماعيلية بدور بيداغوجي عبر مدرسة التدرج، وبالإضافة إلى العروض التي تقوم بها، فهي تكرس جهدها على البحث في كل ما له علاقة بالطرب الغرناطي وتثمينه، وكذا نشره في أوساط الجمهور بوجدة، وخاصة في أوساط الشباب، من أجل الإسهام في نهضته مستقبلا على الأصعدة الجهوية والوطنية والدولية.

في العروض كما في التمارين، لا يمكن بلوغ الامتياز إلا بفضل ساعات طويلة من الممارسة

مشتل لتكوين المبدعين الجدد في مجال الطرب الغرناطي

عمر شهيد
فاعل ثقافي جمعوي،
ومنشط مشارك لبرنامج إذاعي

ترأس الأستاذ شهيد الجمعية الأندلسية قبل أن ينشئ جمعية نسيم الأندلس سنة 2005. ويظل هدفه الأساسي هو مأسسة التقليد الموسيقي الغرناطي : إنه مشتل المواهب المستقبلية في هذا الميدان. والسيد شهيد، المولود بوجدة، بدأ هو نفسه مساره في سن السابعة. وهذا المقال يوضح لنا كيف تتكون النخب الموسيقية للطرب الغرناطي بجهة الشرق.

مدرسة موسيقيي الغرناطي : مشتل للمواهب والكفاءات

يعتبر مشتل موسيقى الغرناطي إنجازا بسيطا وأساسيا، بمعنى أنه المنطلق الضروري الذي يسمح بضمان الخلف وكذا استمرارية هذا الموروث الثقافي اللامادي والمحافظة عليه. ولهذا، فإني أولي أهمية كبرى للتدرج داخل جمعيتي وخاصة لفائدة الشباب شريطة أن يكونوا متعطشين لهذه الموسيقى وشغوفين بهذا الموروث الموسيقي الأندلسي.

في جمعيتي، نستقبل تلاميذ من كل المستويات وكل الأعمار. لنا أطفال، فتيات وفتيان، عمرهم خمس سنوات متعطشون لاكتشاف وتعلم الطرب الغرناطي، ولكن هناك أيضا كبارا في الأربعينيات وحتى الخمسينيات. وهم ينحدرون من أوساط مختلفة : بعضهم أطباء وبعضهم يمارسون مهن حرة أو موظفون وآخرون يمتهنون التجارة.

حب الطرب الغرناطي هو الذي يجمعهم. وقد قدموا لاكتشاف عالم جديد وأيضا وقبل كل شيء من أجل المتعة.

فتاة صغيرة تتعلم العزف على الدربوكة

شعبة امتياز، تتم مرحلة تلو مرحلة

كلما بدأنا صغارا كلما سهل تعلمنا وتوفرنا على قدرة لتملك الطرب الغرناطي. وفي هذا الصدد، عندي في مجموعتي موسيقيين بدؤوا الغرناطي بالجمعية منذ نعومة أظافرهم وكبروا مع هذا الفن. وهم اليوم آباء وأمهات وموسيقيون كبار شغوفون بهذه الموسيقى.
خلال تعلم الغرناطي، نبدأ بمرحلة هامة للغاية وهي مرحلة تنمية الأذن الموسيقية. ولهذه الغاية، نُلحق التلاميذ بالمجموعة الصوتية أو الكورال مما يمكنهم من الاستماع للألحان والنغمات والأصوات والنوطات الموسيقية والتأقلم مع مختلف الآلات، وبشكل موازٍ، تعلم مختلف أناشيد وأشعار الطرب الغرناطي، لأن لها معنى وتشير إلى مواضيع عدة كالطبيعة والحب وحتى العشق الإلهي. وهذه المرحلة تسهل كثيرا على التلميذ تعلم أية آلة موسيقية في ما بعد، لأن هذا المتعلم سيكون قد تملك اللحن الغرناطي وأصوات الآلات.

فضلا على ذلك، تمكن هذه المرحلة من تنمية الشغف بهذه الموسيقى. فطفل عمره خمس أو عشر سنوات يستمع لهذه الموسيقى باستمرار ويتمرن بمنزله على الأناشيد الغرناطية المتميزة برقي النصوص وجمال الكلمات، لا يمكنه إلا أن يستسلم نهائيا أمام سحر هذا الموروث الأندلسي.

بعد المرحلة الأولى، عندما يطور التلميذ أذنا موسيقية ويغرم بالموسيقى الغرناطية، سوف يبدي رغبته في تعلم العزف على آلات موسيقية. وفي هذه المرحلة تبدأ الشخصية الموسيقية للتلميذ في التكون والتطور. وانطلاقا من هنا، فهو يتجه بنفسه وحسب إحساسه وانجذابه وتسهيلاته، نحو مختلف الآلات التي يميل إليها وتجتذبه.

نحو تعلم الآلات والعروض الأولى

الآلات الرئيسية المطلوبة والتي يقع عليها الإقبال أكثر، هي البيانو والماندولين والعود.

وهذه هي اللحظة التي يكون فيها التلميذ مستعدا لبداية تعلمه العزف على الآلات، ومن هذا الوقت نبدأ في تخصيص دروس انفرادية لتعلم الآلة التي اختارها التلميذ، لمدة ساعة إلى ساعتين أسبوعيا، حسب الوقت المتوفر لديه. الدروس تتم بطريقة تقليدية ولا تشمل الصولفيج.

إذا تعلق الأمر بالعود، نبدأ بتعليمه أسماء وأصوات مختلف الأوتار وفائدتها، ثم يمر التلميذ إلى تمارين مختلفة يقوم بها لتعلم وتملك الآلة.

طبعا، يلعب المجهود الشخصي والانخراط، وكذا الموهبة الذاتية لكل تلميذ، دورا أساسيا في تعلمه. وينبغي التوضيح بأن هذه الطريقة تنطبق على كل الآلات الموسيقية، ويتم فقط تكييف الطريقة حسب طبيعة الآلة.

فمدة التدرج إلى مرحلة التمكن من إحدى الآلات تبقى بالأساس رهينة بالجهود الشخصية، وانخراط التلميذ وكذا إرادة الآباء، لأن الطرب الغرناطي هو تكملة لدراسة الأطفال. وحسب تجربتي، يمكن لبعض التلاميذ أن يلتحقوا بالفرقة الموسيقية للجمعية والمشاركة في عروضها أمام الجمهور.

الهدف النهائي للمشتل هو استمرارية الطرب الغرناطي

هذه هي الطريقة التي نتعلم بها وننقل هذا الموروث إلى الصغار، من أجل ضمان ديمومة هذا الفن والمساهمة بطريقتنا في الحفاظ عليه وتقييمه.

في جمعيتي، هناك حوالي ثلاثين تلميذا في مدرسة المشتل، تتراوح أعمارهم ما بين ستة وعشرين سنة.

أجد معهم الكثير من المتعة في نقل معرفتي ولكن أيضا عشقي واحترامي لهذا الموروث الذي ينتمي لجهة الشرق والذي ذاع صيته عالميا.

مائة فنان في الطرب الغرناطي، منهم العديد من الشباب، مجتمعون بمناسبة تخليد الذكرى العاشرة للخطاب الملكي بوجدة يوم 18 مارس 2003

جمعية هواة الطرب الغرناطي

أنشئت جمعية هواة الطرب الغرناطي سنة 2002 من طرف الفنان والأستاذ حسن بلعسري، المولع بموسيقى الغرناطي والذي لم يكن يتجاوز عمره 18 سنة عند إحداث الجمعية. وبالتالي، فقد كان وسيبقى أصغر رئيس جمعية للطرب الغرناطي بمدينة وجدة، وجهة الشرق وحتى على الصعيد الوطني.

تظم الجمعية زهاء عشرين عضوا إضافة إلى زهاء ثلاثين متدرج موزعين على ثلاث مجموعات : مجموعة الصغار، مجموعة المتوسطين ومجموعة الكبار. ويتكفل السيد حسن بلعسري نفسه بتدريس الموسيقى.

تتكون الجمعية بالأساس من أعضاءَ قدماء للجمعية الأندلسية. وقد كانت غاية الجمعية إحياء سنوات المجد لموسيقى الغرناطي وتجديد لحظات النشوة الكبيرة التي كانت تحصل في إطار الجمعية الأندلسية.

من جانب آخر، التزمت الجمعية أيضا بتمكين الشباب من اكتشاف وممارسة موسيقى عريقة، مما يمكنهم من تملك تراث ثقافي لامادي فريد والذي تكتسي جذوره طابعا جهويا، ولكنها تشع، بحكم التاريخ والهجرات، على الدول المجاورة، المغاربية والأوروبية، بل وأبعد، على البلدان العربية. وهذا النوع من الإشعاع يفتح آفاقا واسعة لمسارات مهنية مشرقة.

أما بالنسبة للذين لا يسعون إلى إتباع مسار فني احترافي، فإن الجمعية تعتزم منح هؤلاء المبتدئين والمولعين إمكانية ممارسة هواية تساهم في تشكيل شخصيتهم وفي نمو ثقافتهم.

فضلا على ذلك، فإن الجمعية تكرس جهودها لتنشيط سهرات وحفلات للموسيقى الأندلسية في مختلف المناسبات الدينية والثقافية، على الصعيد الجهوي، الوطني والدولي.

أوركسترا الرابطة في حفلة موسيقية حول الأستاذ بلعسري

بشكل أوسع، تعمل الجمعية للحفاظ على الموروث الثقافي للطرب الغرناطي المغربي، مع تأمين تحديثه ونشره في الأوساط الجماهيرية، وخاصة لدى الشباب والأطفال وفق مناهج تربوية.

شاركت الجمعية في العديد من الفعاليات بجهة الشرق، كمراسيم تدشين الفضاء الجمعوي لوجدة من طرف صاحب الجلالة الملك محمد السادس، والذي خصص اهتماما كبيرا لمجموعة الأطفال، وأيضا خلال تدشين شارع ولي العهد الأمير مولاي الحسن.

إضافة إلى ذلك، تشارك الجمعية بانتظام في مهرجان موسيقى الطرب الغرناطي لوجدة الذي تنظمه المديرية الجهوية للثقافة ووكالة جهة الشرق وكذا في أحداث ثقافية بمناسبة أعياد وطنية ودينية، كما حصل بالخصوص خلال الاحتفالات بمناسبة عقد قران صاحب الجلالة.

تقدم الجمعية عروضا على الصعيد الوطني كما الأمر بالدار البيضاء والرباط بالخصوص. كما تقوم بعروض في الخارج كما حصل بسفارة ليبيا بموريطانيا.

الاستثنائي يضبط حياتها الفنية، وموهبتها كامرأة تعزف على آلة إيقاع

راشا حنيني
عازفة على آلة إيقاع
ضمن أوركسترا جمعية الشيخ صالح

الكاتبة من مواليد مدينة وجدة من أسرة موسيقية. وقد كانت مولعة في البداية بالآلات الوترية، ثم أصبحت العازفة الإيقاعية الأولى للطرب الغرناطي بوجدة. راشا طالبة في الحقوق، والصولفيج ... والدربوكا ... تعمل من أجل حماية وتثمين الموروث الغرناطي عبر البحث وتنويط النوبات.

حينما كنت طفلة، كان والديَ يشجعاني على ممارسة مختلف الأنشطة الترفيهية، كالرياضة (السباحة مثلا) أو الموسيقى. وقد بدأت قصتي مع الغرناطي كما لو أنني أختار وسيلة ترفيهية في سن الثانية عشر بدار الشباب.

كان عندنا أستاذ للموسيقى يلقننا المبادئ الأولية للموسيقى، وعبر هذه الدروس اكتشفت الطرب الغرناطي. وجاء عشقي للموسيقى وللطرب الغرناطي بالخصوص من أول نظرة، كما يقال. وبدأت مسيرة التعرف واكتشاف المزيد حول هذا النوع الموسيقي الأندلسي، وهكذا التحقت في سن الرابعة عشر بالجمعية الأندلسية، حيث تلقيت قواعد الطرب الغرناطي من طرف الأستاذ الكبير محمد شعبان.

لقد بدأت بتعلم المانْدولين، ثم تعلمت القيثارة. وقد كنت أتلقى درسين إثنين في الأسبوع برفقة أختي. كنت أعزف فقط مقاطع صغيرة، وبدأت أتعلم تدريجيا حتى تمكنت من إتقان العزف على المانْدولين والقيثارة. غير أنه في هذه الفترة، لم أكن أستطع مواصلة جهودي واستثماري لأنني كنت أتوقف باستمرار لأُعِد امتحاناتي بالإعدادية أو لأسباب أخرى شخصية.

اكتشاف الدربوكة

إحدى النقط البارزة في مساري الموسيقي كانت في بداية سنة 2000. فبمناسبة مهرجان بإشبيلية مخصص للنساء في الموسيقى الأندلسية والذي كانت الجمعية ترغب في المشاركة فيه، كنا نحتاج إلى عازفة إيقاع. ولتكوين مجموعة الفتيات والنساء الموسيقيات التي سوف تشارك وتمثلنا – لأنه في هذه الفترة كان لاعبو الدربوكة فقط من الرجال – اضطرت الجمعية إلى تنظيم جلسات استماع صغيرة للموسيقيات من أجل اختيار عازفة إيقاع وكنت من بين اللواتي يتقن العزف على الدربوكة. وكنت قادرة على مسايرة الإيقاع. في البداية، كنت مترددة لأن هذه الآلة كانت من اختصاص الفتيان، ولكني تجاوزت هذا الحاجز بفضل مساندة أساتذتي، كالسيد شهيد والسيد بنعبد الله، وبدأت أتقن تدريجا العزف على الدربوكة.

لم أسافر في النهاية إلى إشبيلية، فقد كنت قاصرة وقتها ولم أتمكن من الحصول على الترخيص. رغم ذلك، واصلت متابعة بعض دروس الدربوكة إلى جانب المانْدولين والقيثارة.

في الواقع، كان أول عرض لي كعازفة إيقاع بمناسبة مهرجان الغرناطي بوجدة سنة 2001 أو 2002، حيث كانت العروض تقام بسينما لو باري (باريس). لم يستطع عازف الإيقاع المشاركة بسبب مانع عارض، فطُلب مني تعويضه. لقد كان الأمر غريبا بالنسبة لي وشعرت برهبة كبيرة لأنها المرة الأولى التي كنت سأقدم نوبة كاملة بأجزائها الخمسة التقليدية بواسطة الإيقاع، بينما كنت عادة ألعب فقط أجزاء صغيرة. لقد كنت قلقة ومتوترة بسبب المسؤولية الكبيرة التي عُهدت إلي وأيضا لأن عازف الإيقاع هو من يقود الجوقة. بمجرد وقوفي على ركح سينما لو باري ومعاينتي للجمهور الغفير بالقاعة، انتابني رعب كبير وأوشكت على الانسحاب، ولكن، بفضل تشجيع أساتذتي وأصدقائي وأسرتي تغلبت على خوفي وبدأت ألعب بالشكل الذي تعلمته. وقد عزفت بشكل جيد.

منذ ذلك الوقت أصبحت أول فتاة تعزف على آلة إيقاع في الطرب الغرناطي. وقد أُعجب أساتذتي بما قمت به وكل موسيقيي الجمعيات الأخرى كانوا فرحين بأن يروا للمرة الأولى فتاة تلعب آلة إيقاع في الطرب الغرناطي بوجدة. في هذه المرة الأولى كان الأمر صعبا في الواقع، ولكن بعد ذلك، ازداد عشقي للإيقاع وانطلق مساري في هذا المجال.

اكتشاف الصولفيج أو النوطا

في البداية كنت أخشى من آلة الإيقاع ولكنها هي التي منحتني المكانة التي أشغلها الآن. فأنا أتقن هذه الآلة أحسن يوما بعد يوم، ولكن ما زلت أتعلم وأتطور. بقيت في الجمعية الأندلسية حتى سنة 2007، ثم التحقت بجمعية أحباب الشيخ صالح كعازفة على الإيقاع والماندولين، ولكن أعزف في الواقع على آلة الإيقاع. ومع جمعيتنا، شاركنا إلى غاية اليوم في العديد من التظاهرات.

بفضل الطرب الغرناطي، قدمت عروضا في العديد من المدن المغربية (مراكش، الدار البيضاء، الرباط وفاس)، وكذا ببلدان أجنبية: فرنسا، إسبانيا، الجزائر، الإمارات العربية المتحدة، الخ. وقد شكلت هذه المشاركات تجربة ممتازة اكتسبت بواسطتها الكثير على الصعيد الموسيقي والشخصي. من جانب آخر، جاورت العديد من الفنانين خلال تنقلاتي، مما سمح لي بأن أقارن نفسي بموسيقيين آخرين وإبراز الاختلافات في ما بيننا.

تعلمت الطرب الغرناطي بطريقة تقليدية، أي بالاستماع والتدريب على مختلف المقاطع. لم أكن أستطع قراءة النوطا الموسيقية، ولكن لما شاهدت فنانين أجانب، الذين يجهلون اللغة العربية ولا يعرفون الطرب الغرناطي، ويستطيعون عزف هذه الموسيقى انطلاقا من التنويط فقط، شعرت ببعض الغيرة من علمهم. كانت لدي رغبة كبيرة لتعلم الصولفيج ولذلك ولجت المعهد الموسيقي، حيث تعلمت، وما زلت أتعلم، النوطا التي فتحت في وجهي عالما موسيقيا جديدا. كما بدأت أيضا في تعلم آلة العود منذ أربع سنوات. وقد فتح الصولفيج أمامي حقولا أخرى : وقد بدأت أعزف مقاطع شرقية في حين كنت سابقا منحصرة في الفن الغرناطي. النوطا أو الصولفيج مهم جدا لأنه يمكن من المحافظة وتثمين الطرب الغرناطي عبر كتابة التقسيمات.

الجمعية الأندلسية بمهرجان الطرب الغرناطي بوجدة سنة 2008

من أجل تجاوز النفور

الشباب غير منجذبين كثيرا بالطرب الغرناطي، الذي يعتبرونه مملا بالمقارنة مع أنواع موسيقية أخرى عصرية، في حين أنه تراث حقيقي. وقد حاول بعض الفنانين تحديثه قليلا بإعطاء شكل جديد لبعض النوبات لجلب الشباب، لكن هذا يظل غير كاف. هذا الاهتمام الضعيف بالطرب الغرناطي هو ناتج أيضا عن ضعف التواصل حول هذه الموسيقى : فمن النادر أن نستمع إلى مقطع موسيقي غرناطي بالقنوات التلفزيونية. كما أن إذاعتها على أمواج الإذاعة قليلة بالمقارنة مع الأنواع الأخرى. وحتى المهرجان السنوي للطرب الغرناطي بوجدة لا يحظى بالترويج الإعلامي الذي تحظى به مهرجانات أخرى.

لا يُمنح الاهتمام اللازم للطرب الغرناطي إذا ما قارنا بالوضع عند إخواننا الجزائريين الذين يمنحون أهمية كبيرة لهذا الموضوع على مستوى كل أصناف وسائل الإعلام إضافة إلى الأيام الدراسية والندوات وغيرها. ولحسن الحظ، توجد العديد من الجمعيات التي تعنى أكثر فأكثر بهذا الموروث الموسيقي والتي تحاول تحديث هذه الموسيقى الرمز لمدينة وجدة.

ما زال العديد من الناس يخلطون بين الطرب الغرناطي والأشكال الموسيقية الأندلسية الأخرى كالآلة، الخ. وفي رأيي إنه من المهم حاليا تنظيم أيام دراسية مختلفة حول هذا الموضوع طوال السنة وليس فقط على هامش المهرجان السنوي للطرب الغرناطي لوجدة.

من جانب آخر، أظن أنه من المهم التحسيس بمختلف النوبات وتاريخ وخاصيات هذه الموسيقى، من أجل استقطاب الشباب. وأظن أن حملات تستهدف أطفال المدارس والإعداديات قد تساهم بشكل كبير في هذا المجهود.

أخيرا، ومن أجل تنمية الطرب الغرناطي، من المهم في رأيي مضاعفة عروض الطرب الغرناطي، ولو لعزف مقاطع صغيرة من أجل نشر موسيقى الغرناطي والحفاظ على التواصل مع الجمهور.

جمعية نسيم الأندلس

تم إنشاء جمعية نسيم الأندلس سنة 2005 بمبادرة من رئيسها الحالي، الأستاذ عمر شهيد، أحد كبار المولعين بموسيقى الغرناطي. وهو من مواليد وجدة سنة 1967، وله مسار مثير للإعجاب ابتدأ في سن السابعة عشر.

بعد تكوين أولي بالمعهد الموسيقي لوجدة، تابع تطوير فنه بجوار أساتذة كبار في الطرب الغرناطي. جعلت منه كفاءته وموهبته بالطبع منذ 1997، رئيس الجمعية الأندلسية، وهو الرافد الذي انبثقت منه غالبية فناني الغرناطي في نهاية القرن العشرين.

كان هدف جمعية نسيم الأندلس جمع عشاق موسيقى الغرناطي، ولكن أيضا الإسهام في نهضة وتنمية هذا الموروث الأندلسي، الذي أصبح اليوم أحد المكونات التراثية للهوية الثقافية لجهة الشرق ولمدينة وجدة بالخصوص.

هكذا، ومنذ إنشائها، تعمل الجمعية على التعليم والتعريف والحفاظ على هذا الجزء الهام من الموروث الموسيقي الجهوي. ولهذه الغاية، وضعت الجمعية مشتلا للتدرج في موسيقى الغرناطي يستقبل ويكون أطفال من كل الأعمار وكذا الكبار الذين يرغبون في معايشة هذه الموسيقى عن قرب والمشاركة في تنميتها.

من جانب آخر، تعمل الجمعية على خلق وتحفيز الحاجة لإستدامة هذه التقاليد الموسيقية ومتابعة البحث في ميدان الطرب الغرناطي لدى الجيل الجديد، من أجل تأمين الخلف وبالتالي ضمان استمرارية هذا النوع الموسيقي. تساهم جمعية نسيم الأندلس في الترويج للتراث الموسيقي الأندلسي.

لهذه الغاية، شاركت الجمعية في عدد كبير من السهرات والتظاهرات في العديد من المدن المغربية (الرباط، الدار البيضاء، فاس)، وكذا في مهرجانات في مختلف الدول، وخاصة بالجزائر وإسبانيا وفرنسا، الخ... وإضافة إلى ذلك شاركت الجمعية عدة مرات في برامج تلفزيونية في قنوات مغربية وجزائرية. والأستاذ شهيد ينشط بنفسه البرامج التلفزيونية «أندلسيات» و«مقامات وموازين»، التي تحظى بتقدير واهتمام هواة ومحبي الموسيقى الأندلسية.

أخيرا، تنظم الجمعية سنويا مهرجانا يحمل إسم «ربيع الأندلس». ويعرف هذا المهرجان نجاحا باهرا لأنه يجمع العديد من الجمعيات الموسيقية وفرق موسيقية وأساتذة كبار مغاربة وأجانب.

موسيقيو جمعية نسيم الأندلس

صوت استثنائي في خدمة الطرب الغرناطي، هكذا تبرز كبريات المنشدات

ثريا بلعسري
نجمة الموسيقى الغرناطية

أجل، للطرب الغرناطي مطرباته الشهيرات، كما أن لهذا الفن أساتذته. وعلى غرار ماريا كالاس بالنسبة للأوبرا الأوروبية، فثريا بلعسري تتوفر على صوت متميز وأناشيدها لا يوجد ما يماثلها. هذه الأصالة الفطرية، المكتشفة منذ الطفولة، والتي تعززت عبر عمل شاق وولع بالأسلوب الغرناطي، قادتها بصورة طبيعية نحو قمم طربها. وهذه الشهادة، امتياز ناذر.

لقد ولدت وترعرعت في أسرة وجدية ذات ثقافة تقليدية، كان كل أعضائها ولوعين بالموسيقى، وفي حضنها شغفت بالموسيقى وبشكل خاص بالموسيقى الكلاسيكية والموسيقى الأندلسية.

مسار تقليدي بوجدة بمواكبة أسرية

في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، كان من عادة الأسر الوجدية المحافظة على تسجيل أبنائها المولعين بالموسيقى الغرناطية بالجمعية الأندلسية التي كانت الوحيدة من نوعها في هذه الفترة.

استقبلت هذه الجمعية عددا كبيرا من أطفال وشباب وجدة ونواحيها خلال هذه الفترة، ومكنتهم من تعلم وتملك مختلف الآلات الموسيقية وكذا الغناء الغرناطي. وهذا كله بجوار أساتذة كبار وفنانين مشهورين بجهتنا.

وبنفس الشكل، قام والدي بتسجيلي بالجمعية الأندلسية في سن الخامسة إلى جانب أختي الكبرى التي كانت تتابع دروسا بها. لقد كان الأمر في البداية بالنسبة لي ولوالدي يتعلق فقط بتمكيني من ممارسة هوايتي المفضلة إلى جانب أشخاص متميزين ومؤهلين جيدا في الميدان. وبسرعة، أثرت الانتباه بفضل صوتي الذي كان يتميز بإحساس خاص، مما أدهش أساتذتي بالجمعية وكذا الجمهور، سواء أثناء التمارين أو بمناسبة الحفلات المختلفة.

لقد بدأت بتعلم العود، ثم الكمان وبشكل موازٍ، الإنشاد. ويعود الفضل في تعليمي القواعد وتوجيه تدرجي إلى الفنان الكبير محمد شعبان.

من التكوين إلى الشغف، إنه صوت استثنائي

بعد بداياتي، ولعت سريعا جدا بهذا التراث الثقافي الأندلسي وبحثت عن وسيلة لتطوير وتشكيل موهبتي وقدراتي : بحثت عن سبل

ثريا بلعسري في نهاية الثمانينات

تحسين صوتي وأدائي على المسرح. ويمكن القول بأن موهبتي المتميزة فطرية لأن صوتي كان يسمح لي بشكل طبيعي بالإنشاد بأسلوبي الخاص ودون أي مجهود تقريبا.

في كل مرة أُنشِد فيها أغنية من الرصيد الغرناطي، كنت أعطيها نبرة نوعية، خاصة بي، فكانت تلقى استحسانا كبيرا من لدن الجمهور.

ثريا بلعسري في حفل (نهاية الثمانينات)

في عمر اثني عشر أو ثلاثة عشر سنة، كنت أول صوت نسائي وطفولي استطاع أن يفرض نفسه ويتألق على ساحة الطرب الغرناطي على الصعيدين الجهوي والوطني وحتى على المستوى العالمي.

لقد حظيت باهتمام كبير وبكثير من الاعتبار بالنظر لأنه في تلك الفترة كان الرجال وحدهم من يهيمن على هذا الشكل الموسيقي وخاصة بوجدة. لكنني نجحت في أن أجد مكانا لي ضمن هذه الدائرة النخبوية حينها، مما شجع العديد من الفتيات على إبراز قدراتهن ومواهبهن، ليتم فيما بعد دمقرطة وإشاعة مشاركة الفتيات في الأجواق، حتى على الصعيد الوطني. وقد واصلت بكل شغف عملي في الجمعية طوال فترة شبابي.

طوال مساري الفني، قدمت الكثير للطرب الغرناطي، وقد نجحت في نشر هذا الموروث لدى جمهور واسع كما تدل على ذلك قصيدة «الحرم يا رسول الله» التي أنشدتها بمسرح محمد الخامس بالرباط سنة 1994 والتي سجلتها الإذاعة المغربية. وقد سجل النقل التلفزي لهذه القصيدة نجاحا كبيرا وتمت إذاعتها طوال شهر رمضان على المحطة الوطنية، وكذا بمحطات أخرى أجنبية. وقد أعيدت إذاعتها حتى خلال تدشين محطة التلفزيون السعودي عند افتتاح بثها.

من النجاح الجهوي إلى الاعتراف الدولي

من جانب آخر، فإن صيغتي استعملت كموسيقى مصاحبة لتحقيقٍ إخباري حول حفل قران كبير بتلمسان بثه التلفزيون الجزائري، مما يبرهن بوضوح بأن الطرب الغرناطي موروث مغاربي متقاسم ومحبوب من طرف كل الساكنة، كيفما كانت جنسيتها.
وقد أصبح الطرب الغرناطي بفضل هذا الأداء معروفا ومشهورا وخاصة الطرب الغرناطي لمدينة وجدة.

بفضل الله، عرفت كل أعمالي نجاحا كبيرا عند الجمهور. وقد ساهمتُ على طريقتي في تنمية وإشاعة الطرب الغرناطي في مختلف الدول العربية وحتى الأوروبية. ومن جانب آخر، عملتُ دائما على تحديث هذا الشكل الموسيقي. وقد أدت مميزاتي الصوتية إلى إعطاء طابع متفرد للغاية لهذا الطرب ومكن بالتالي من تجديد جزئي لإدراك هذا الموروث الموسيقي وللجمهور، خاصة لدى الشباب وخاصة الفتيات.

في كل مرة كنت أنشد فيها، كان الجمهور في حالة تأثر واندهاش من أداء فتاة في الرابعة عشر من عمرها. وأتذكر أن الأستاذ الكبير أحمد بيرو جاء ليهنئني في أحد الأيام قائلا بأنني أعطي طابعا متميزا لكل نوبة أغنيها.

من جانب آخر، شاركت، برفقة الجمعية الأندلسية، في عدد كبير من المهرجانات والمناسبات على الصعيد الدولي، خاصة بالجزائر وإسبانيا (إشبيلية وغرناطة) وبالمغرب في مدن كثيرة.

إلا أنه من بين كل الأعمال التي أديتها، يبقى العرض الذي شاركت فيه بالقصر الملكي بالرباط سنة 1990 تخليدا لعيد الشباب احتفاء بعيد ميلاد المغفور له الحسن الثاني، الذكرى التي رسخت في ذاكرتي، وكنت ما زلت طفلة حينها.

جمعية ابن الخطيب للفن الأصيل لوجدة

جمعية ابن الخطيب للفن الأصيل لمدينة وجدة، التي أنشئت سنة 2017، هي إحدى الجمعيات المختصة في الموسيقى العربية الأندلسية، وخاصة موسيقى الغرناطي ومشتقاتها.

تضم جمعية ابن الخطيب نساء ورجالا من كل الأعمار مولعين بالطرب الغرناطي وتتقاسم نفس الهدف وهو المحافظة على موسيقى الغرناطي ونشرها عبر العالم.

يترأس الجمعية السيد محمد لزعر، كما أن لها رئيسا شرفيا في شخص الحاج عبد القادر الواسطي، المناضل الكبير في مجال الطرب الغرناطي.

تتشكل اللجنة المسيرة في نفس الوقت من موسيقيين محنكين ومن مطلعين في الميدان. وقد مارس كل الأعضاء طوال سنوات عديدة موسيقى الغرناطي داخل مجموعات أخرى وذلك منذ سن صغيرة جدا.

يسير الفرقة الموسيقية للجمعية الأستاذ أحمد الطنطاوي، الحاصل على دكتوراه في الفن والتراث، وهي أحد المرجعيات في هذا المجال الموسيقي. وعِشقا لهذا الفن العريق، فإن الأستاذ الطنطاوي وكذا مجموع الموسيقيين يبذلون جهودا من أجل تحسين إتقانهم لنوبة الغرناطي. وقد شاركوا في مختلف التظاهرات الفنية والثقافية، بمناسبة الأعياد، الدينية أو

جمعية ابن الخطيب للفن الأصيل بوجدة أثناء أحد العروض

غيرها، بالمغرب كما بالخارج، خاصة بالجزائر والأردن وسوريا والبحرين وانجلترا وفرنسا واليونان وإسبانيا والبرتغال.

في سنة 2017، أنجزت جمعية ابن الخطيب وجمعية Trans'culture تبادلا ثقافيا مع مدينة فاندوفر الفرنسية من أجل تنشيط مسابقة موسيقية. كما شارك موسيقيوا جمعية ابن الخطيب في ورشات للموسيقى في العديد من الإعداديات ومدارس الموسيقى. كما أنهم نظموا حفلا لمزيج من الموسيقى العربية الأندلسية مع مجموعة Trans'culture.

في يوليوز 2017، قامت المجموعة الموسيقية بتنشيط معرض «دروب المُقدس» بمعهد العالم العربي بباريس. وبالرغم من أن الجمعية حديثة العهد، فقد قامت بجولات وحفلات في مختلف المدن الفرنسية. ومن جانب آخر، فقد كانت موضوع العديد من الأفلام الوثائقية والبرامج التلفزيونية.

بفضل صيت موسيقيي الجمعية، اتصلت العديد من قنوات الإذاعة والتلفزيون بجمعية ابن الخطيب من أجل التعريف بهذه الموسيقى، كقناة الجزيرة الوثائقية، TV5 فرنسا، الأولى، 2M، العربية وقنوات مغربية أخرى.

تظل الأهداف الرئيسية لجمعية ابن الخطيب هي نشر هذا الفن والتعريف به، وكذا المحافظة عليه، وتشجيع البحث العلمي في هذا المجال، وتكوين مشتل فني وعلمي وعقد اتفاقات مع الجمعيات المغربية والأجنبية التي تحمل نفس الأهداف.

أهم الآلات الموسيقية التقليدية والعصرية في الموسيقى

أحمد الطنطاوي
دكتور في الآداب
والعلوم الإنسانية
بجامعة محمد الأول بوجدة
أستاذ العربية والمدير الفني
لجمعية ابن الخطيب

الكاتب من مواليد وجدة وينحدر من عائلة شغوفة بالموسيقى التقليدية. أنجز كامل مساره الدراسي بمسقط رأسه، إلى غاية حصوله على دكتوراه الدولة في موضوع الموسيقى الأندلسية.
بدأ تدرجه الموسيقي سنة 1970 وعمره عشر سنوات، وهو حاليا ينشد ويؤدي النوبة الأندلسية ومختلف فروعها. وهو غزير فيما يخص المحاضرات والحفلات بالمغرب والخارج. كما يعمل على الترويج والتعريف بالطرب الغرناطي وكذا بالتراث الثقافي لجهة الشرق. وينتظر أن يصدر عنه قريبا مؤلف حول الطقوس والتقاليد القديمة لسكان وجدة.

مؤلف أصدرته
وكالة جهة الشرق

تستعمل العديد من الآلات الموسيقية في الطرب الغرناطي، بعضها قديم جدا واستعمل منذ بداية هذا التيار الموسيقي. وقد تم إدخال آلات أخرى هي أقل قِدما في هذه الموسيقى خلال القرنين الأخيرين. ومن جانب آخر، فقد حاول بعض الأساتذة إدماج آلات أخرى، غير أن هذه الآلات لا تتلاءم دائما مع الموسيقى الغرناطية كالأكورديون على سبيل المثال. وتُستعمل عادة في الموسيقى الغرناطية الآلات التالية :

الناي

آلة النفخ هذه والتي تسمى أيضا الكصبة أو أيضا فحل، هي على شكل أسطواني يحتوي عل ستة ثقب فوق وثلاثة تحت، حيث يمكن تغيير الصوت الصادر بإغلاق مختلف الثقب (لتغيير المقام الموسيقي، على عازف الناي أن يتوفر على مجموعة من آلات الناي، كل واحدة تقابل مقاما محددا تلائم كل نوبة. عموما تستعمل سبعة نايات).

العود

هي آلة وترية من نوعين، العود الشرقي والعود العربي. ويستعمل النوع الأول منذ قرون في الطرب الغرناطي (في البداية، كانت هناك أربعة أوتار مزدوجة، قبل أن يقوم الأستاذ الكبير زرياب بإضافة الوتر الخامس، ويزاد بعد ذلك وتر سادس).

العود (العربي)

يضم أربعة أوتار مزدوجة (يستعمل غالبا في البلدان المغاربية وبالخصوص بقسنطينة وتونس العاصمة) وهو يتميز عن نظيره الشرقي بصندوقه ذي الحجم الصغير نسبيا.

الكويترة

تشبه هذه الآلة في الكثير من مكوناتها آلة العود، وتتميز عنها بزند أو رقبة أطول وبحجم صندوق أصغر (وهي تضم أيضا أربعة أوتار مزدوجة). إنها أحد العناصر الأساسية في تأليف الموسيقات الغرناطية والصنعة.

الأندلسية

القانون

القانون نوع من السيتار على طاولة، وهو يتوفر على أربعة وعشرين وترا مثلثا. ويتم العزف بوضع الآلة على طاولة خاصة أو على ركبتي العازف. ويتم العزف عبر تمرير ريشات متصلة فيما بينها بواسطة ما يشبه حلقات من النحاس والفضة غالبا.

الدربوكة

آلة نقر وإيقاع تقليدية، أسطوانية الشكل مع قاعدة أوسع من القمة. وهي مغطاة بجلد حيواني ممدد (جلد خروف عموما)، أو من السمك، في حين أن الجانب الضيق مفتوح. وهي عادة مصنوعة من الفخار، ولكن نجد أيضا آلات مصنوعة من النحاس والألمنيوم وحتى من الحديد المصبوب (في أجواق الراي أو الشعبي على سبيل المثال). واستعمال هذه الآلة في الموسيقى الأندلسية حديث نسبيا لأن استعمالها لم يبدأ إلا في القرن الماضي، لتحتل بسرعة مكانة هامة في تأليف هذه الموسيقى (نحصل على صوتين، «بوم» بنقرة في وسط الآلة و«تاك» في جنباتها).

الطر

آلة إيقاعية أخرى شكلها دائري ومن الحجم المتوسط، وتتوفر مساحتها الجانبية على صنوج نحاسية، مع قاعدة تتكون من جلد ممدد غالبا من جلد المعز، ولكن أيضا من السمك. وقد استعملت هذه الآلة قبل الدربوكة بمدة وتلعب دورا مهما في الموسيقى الأندلسية، لأنها تمكن من ضبط إيقاع الموسيقى (على آلة الطر، نحصل على صوت «بوم» بالنقر على الجلد الممدد وصوت «تيك» بالضرب على الصنوج النحاسية).

الرباب

الرباب آلة أساسية في الموسيقى الأندلسية، وهي تتوفر على أوتار غليظة من المصران، يعزف عليها بواسطة قوس (الرباب قد يكون أصل الكمان).

أهم الآلات الموسيقية التقليدية والعصرية في الموسيقى

الجوق الغرناطي

تستوجب موسيقى الغرناطي تنوعا في الآلات المكملة. وهكذا، فإن جوقا أو فرقة موسيقية تتكون من العديد من الموسيقيين : من 10 إلى 12 فنانا في الحد الأدنى، إلى 40 فردا، وحتى 50، حسب الحدث، ومساحة الركح، الخ.

بعض الآلات لا بد منها في جوق للطرب الغرناطي، وخاصة الآلات الإيقاعية كالطر والدربوكة، وكذا الآلات الوترية (الرباب، الماندولين، العود، الكويترة والكمان) إضافة إلى الناي. ويمكن للعديد من الآلات تكملة ومرافقة هذه الآلات الأساسية، ومنها البيانو، البانجو، القانون، الكمان الكبيرة، الشيلو، الكنترو باس، القيتارة وآلات موسيقية عصرية أخرى.

داخل جوق الطرب الغرناطي، يمكن أن يحضر العديد من عازفي نفس الآلة بغية تحسين الموسيقى، إلا بالنسبة لآلات الإيقاع، حيث لا يمكن تجاوز عازفَيْن. وبالنسبة لجمالية التقديم، يتم ترتيب الفرقة على شكل صفوف من 10 عازفين، مختارين وفق الآلات، مع وضع المنشدين أو المغنين في المقدمة عموما.

الكمان

هذه الآلة الوترية ذات الحجم الصغير تعزف بواسطة قوس، وقد بدأت تستعمل في الموسيقى الأندلسية في بداية القرن التاسع عشر. وتختلف تقنية عزفه في الموسيقى الأندلسية مقارنة مع الطريقة الغربية، حيث يوضع على الركبة بشكل غالبا عمودي ويمرر العازف القوس بشكل أفقي على الأوتار.

الكمان الكبيرة

هي أكبر قليلا من الكمان وهو يوجد بصورة تقريبا دائمة في أجواق الموسيقى الأندلسية.

الفيولونسيل أو الشيلو

هي أكبر من الكمان الكبيرة. نضعها بين الركبتين ويوضع عنقها أو زندها على كتف العازف.

الكونترو باس

غالبا ما تتبع وترافق إيقاعات النقر، لكن استعمالها في الموسيقى الأندلسية يظل قليلا بل وفي تناقص لأسباب عملية ولوجيستية بسبب حجمها الكبير الذي يجعل نقلها محفوفا بالمخاطر.

القيتارة

إنها من بين الآلات الأكثر تداولا في العالم، وهي تتكون من ستة أوتار وخانات على مستوى الزند : في الموسيقى الأندلسية تستعمل فقط القيتارة التقليدية، التي ظهرت في الموسيقى الأندلسية في القرن الماضي، بين الأربعينيات والخمسينيات.

البانجو

هذه الآلة الوترية من أصل أمريكي، مع زند يشبه زند القيتارة. وهي تصدر صوتا قويا جدا، وهي في الغالب من الخشب أو المعدن، مغلف بجلد ممدد من أصل حيواني (حاليا تستعمل أكثر فأكثر مواد تركيبية). هناك أنواع من البانجو، بأربعة، خمسة أو ستة أوتار. ونميز نوعين من البانجو (البانجو - قيتارة، الأكبر حجما والبانجو - ماندولين ذو الحجم الأصغر، والذي يستعمل غالبا في الموسيقى التقليدية الأندلسية بالمغرب والجزائر).

الأندلسية

الماندولين

تعرف أيضا بإسم السنيترا، وهي في شكل قيتارة صغيرة من أصل إيطالي، تتوفر على أربعة أوتار مزدوجة تعطي صوتا حادا. يُميز بين شكلين من الماندولين أو السنيترا، الأولى، ذات حجم صغير، تتوافق مع الكمان، والثانية أكبر قليلا وتتماشى مع الكمان الكبيرة. الماندولين من بين الآلات الدخيلة على الموسيقى الأندلسية، لكنها سرعان ما احتلت مكانة مهيمنة في التأليف الموسيقي، وخاصة بالنسبة للغرناطي والصنعة.

الماندول

من عائلة الماندولين، تتميز هذه الآلة الوترية بحجم أكبر وزند أقصر من زند القيتارة. هناك العديد من أنواع الماندول التي تختلف بحسب عدد الأوتار (نجد آلات من أربعة وخمسة وستة أوتار مزدوجة). وتصنع هذه الآلة أساسا بالجزائر حيث يعود منشؤها ودخلت إلى الموسيقى الأندلسية خلال القرن الماضي.

البيانو

استعمال هذه الآلة في الموسيقى الأندلسية جديد بالمقارنة مع آلات أخرى، لكنه رغم هذا الإقحام الحديث، فإنه توافق بشدة مع هذه الموسيقى (يستعمل العديد من أنواع البيانو في الموسيقى الأندلسية، إلا أنه يلاحظ استعمال متزايد للآلات الكهربائية، أو الإلكترونية، لأسباب عملية نظرا لحجم ووزن البيانو التقليدي).

نوبات ومقامات الغرناطي : بنـاءُ عـالِـم

محمد الغيدي
شريك مؤسس لجمعية التواصل
المدير الفني لجمعية زرياب

الكاتب أحد الصروح الحية للطرب الغرناطي بجهة الشرق. وقد بدأ مساره منذ الطفولة وواصل تكوينه على يد الأساتذة لاكتساب فنه وصقله. وقد اعتاد على التظاهرات الفنية الكبرى، كما أن تمكنه الواسع أهله لتقديم عرض مفصل للمعارف التي تمكن الهاوي المتنور من إدراك البعد العلمي لهذه الموسيقى العالمة.

النوبة

الغرناطية الأندلسية نظام تأليفي أنشأه الأستاذ الكبير زرياب بالأندلس مستلهما من أعمال أستاذه الكبير في الموسيقى الشرقية إسحاق الموصلي. لقد وضع زرياب أناشيد في النوبة على عدة أبيات من الأوزان والقافية والأناشيد المختلفة، ولكن بنغمة واحدة تسمى «مقام».
ظهر الغرناطي بقرطبة وطليطلة، ثم بإشبيلية وغرناطة. ومن هذه المدن، انتشر بإفريقيا وبالمغرب. وتسمى النوبة بالجزائر صنعة، وبتونس مالوف وبالمغرب الغرناطي.

للنوبة قواعد صارمة : وحدة الأسلوب (مقام)، تنوع الإيقاعات وتنوع الحركات الموسيقية. والمقام تعاقب ثمان طبقات ينتهي دائما بالطبقة التي بدأ بها : مثلا إذا بدأنا بالـ «دو»، فيجب أن ننهي بالـ «دو».
تبدأ القطعة في الطرب الغرناطي دائما بشدو بدون إيقاع، ثم تُدرج شيئا فشيئا إيقاعات مختلفة، أولا الإيقاعات الثقيلة، ثم الإيقاعات المتوسطة وأخيرا الإيقاعات النغمية. وقد تم اعتماد هذا التسلسل منذ قرون عديدة وتمت المحافظة عليه إلى يومنا هذا.

تتركب النوبة الغرناطية من دائرة تسمى فاصل، وهي كما يدل إسمها فترة فاصلة (لم تعد موجودة حاليا)، ثم فاصل بالعزف يسمى مشالية أو مستخبر الصنعة، الذي هو في الواقع قطعة موسيقية بدون إيقاع. ثم تأتي التويشية، وهي مدخل موسيقي، وكذا الأجزاء الخمسة الرئيسية والمتتالية : مْصدَّر، بطايحي، درج، انصراف، خلاص.

مْصدَّر إيقاع بطيء 4 على 4، بطايحي أسرع من مْصدر ولكنه أيضا ميزان 4 على 4، ثم درج وهو أسرع من بطايحي وهو أيضا من ميزان 4 على 4، ثم انصراف، الذي هو إيقاع نسبيا سريع يوصف بالمهزوز أو المكسر، والذي هو من وزن 5 من 8 أو 6 من 8.
أخيرا خلاص، المتميز بإيقاع سريع جدا بنهاية حادة وهو 6 من 8. وكل جزء من هذه الأجزاء الأساسية للنوبة، باستثناء خلاص، يسبقه توطئة أو افتتاح موسيقى يسمى كرسي.

في البداية كانت هناك 24 نوبة إحالة إلى الـ 24 ساعة التي تشكل اليوم، وكل نوبة تحيل على ساعة محددة للنهار أو الليل :

1- الذيل ؛
2- مجنبة ؛
3- أحيسن ؛
4- الرمل ؛
5، 6- رمل عشية ؛
7- غريب ؛
8- الصيكة ؛
9- الرصد ؛
10- رصد الذيل ؛
11- مزموم ؛
12- مايه ؛
13- عراق ؛
14- رهاوي ؛
15- جاركا ؛
16- غريبة الحسين ؛
17- مايا فريغ ؛
18- زيدان ؛
19- اصبهان كبير ؛
20- اصبهان صغير ؛
21- العشاق ؛
22- احسين عشران ؛
23- احسين الأصيل ؛
24- احسين الصبا.

لم يبق اليوم إلا 16 نوبة، منها 12 ناقصة. وقد تم الاستغناء على بعض النوبات، وتم دمج العديد منها مع نوبات أخرى من نفس المقام لتثمينها. والنوبات الكاملة هي :

- الذيل على نبرة موال وهي نبرة «دو» ؛
- مجنبة على نبرة زيدان، وهي نبرة «ري» ؛
- الحسين على نبرة عراق، وهي نبرة «لا» ؛
- رمل المايا، على نبرة رمل المايا، الذي هو نبرة «ري» ؛
- رمل على نبرة زيدان، الذي هو نبرة «ري» ؛
- غريب على نبرة عراق وهو نبرة «لا» ؛
- زيدان على نبرة زيدان، وهو نبرة «ري» ؛
- رصد على نبرة رمل المايا، وهو نبرة «فا» ؛
- مزموم على نبرة مزموم وهو نبرة «مي» ؛
- السيكا على نبرة الصيكة، وهي نبرة «دو» ؛
- رصد الذيل على نبرة موال، وهي نبرة «دو» ؛
- مايا على نبرة موال، وهي نبرة «دو».

من النوبات الأربعة الناقصة، حيث لم يبق إلا الانصراف وأحيانا الخلاص، هناك : الجركا، العراق، موال، وغريبة الحسين. ويتوزع توقيت النوبات كالتالي :

- الصيكة، الرصد ومزموم بعد الظهر ؛
- الرمل، ما بين السادسة والثامنة مساء ؛
- رمل المايه، بين الثامنة والعاشرة ليلا ؛
- احسين، بين العاشرة ليلا ومنتصف الليل ؛
- الذيل ومجنبة، بين الساعة الحادية عشر ليلا والواحدة صباحا ؛
- غريب، زيدان، بين منتصف الليل والثانية والنصف صباحا ؛
- رصد الذيل، بين الثانية والنصف والثالثة والنصف صباحا ؛
- المايه، بين الثالثة والنصف صباحا والخامسة صباحا.

تُعزف احسين والصيكة بشكل منفرد، ولكن بعض النوبات يمكن أن تكون مزدوجة كـ الذيل مع مجنبة، ورمل المايه مع المايه، والغريب مع زيدان، والرصد مع مزموم والمايه مع رصد الذيل.

لنأخذ مثلا الذيل مع مجنبة لنرى كيف يمكن عزف نوبة متوأمة. نبدأ بتوشية ومْصَدر الذيل، ثم نناوب بين مقام الذيل ومجنبة :

- تويشية الذيل ؛
- مصدر الذيل ؛
- مصدر مجنبة ؛
- بطايحي مجنبة ؛
- بطايحي الذيل ؛
- درج الذيل ؛
- درج مجنبة ؛
- انصراف مجنبة ؛
- انصراف الذيل ؛
- انصراف مجنبة ؛
- خلاص مجنبة ؛
- خلاص الذيل.

التويشية والمصدر الأول، وكذا الخلاص الأخير ينبغي أن يكونوا دائما من نفس المقام.
ولختم النوبة، نغني أحيانا على مقام هذه الأخيرة «قادرية» التي تتكون من بيتين كاملين موسيقاهما ونصهما لا صلة لهما بقواعد النوبة. هناك 8 قادريات : جركا، رمل المايه، زيدان، العرك، الصيكا، مقنطره، موال، مجنبة.

حياة من الموسيقى الأندلسية

ولد الكاتب بوجدة سنة 1959 من عائلة محافظة. بدأ العزف على القيثارة بدون معلم في سن الحادية عشر. وقد كان ولعه كبيرا بالموسيقى الأندلسية. بعد ذلك، التحق بالجمعية الأندلسية للطرب الغرناطي سنة 1970، حيث تعلم مبادئ هذه الموسيقى، ثم صقل مداركه إلى جانب الأستاذين محمد الزموري ومحمد شعبان.
خلال هذا المسار، احتك بالعديد من أساتذة الموسيقى الأندلسية وموسيقى الآلة، مما مكنه من تعزيز معارفه وتمكنه. السيد محمد الغيدي من الأعضاء المؤسسين لجمعية التواصل سنة 1985، التي أصبحت اليوم جمعية زرياب، وهو مديرها الفني منذ إنشائها. وخلال مساره الموسيقي الذي يناهز نصف قرن، شارك السيد الغيدي في عدد كبير من المهرجانات والسهرات بالمغرب (الرباط، الدار البيضاء، فاس، تازة، وليلي، الصويرة وشفشاون، وكذا في كل دورات مهرجان الطرب الغرناطي لوجدة منذ إحداثه سنة 1987) وبالخارج (إسبانيا، الجزائر، العراق، سويسرا، البرتغال وسوريا).

الأستاذ محمد الغيدي في حفل

قويدر مهدي، الصانع الأول والوحيد للآلات الموسيقية

بدون صانع للآلات الموسيقية، تكون وجدة يتيمة موسيقاها. وقد مكنت مبادرة مقاول شاب هو قويدر مهدي، أب محمد، منذ بضعة عقود، من تثبيت الفنانين بالمدينة بتوفير صناعة محلية عن قرب وذات جودة. إنه عمل يضطلع به تقني ماهر وأيضا من هواة الطرب الغرناطي الجيد، فضلا عن كونه هو نفسه فنان. إنها فرصة مواتية بالنسبة لوجدة.

ولد قويدر مهدي بوجدة سنة 1932، من عائلة تعود أصولها من القديم إلى وجدة. وقد ترعرع في حضن أسرة متواضعة، وسط البساتين والحقول التي كانت تميز ضواحي مدينة وجدة آنذاك. وكجميع الأطفال في هذا الزمان، التحق بالكتاب القرآني ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة قبل أن يلتحق بمدرسة ابتدائية عمومية.

أثناء شبابه، اضطر أن يعتمد أولا على نفسه لتأمين مصدر عيشه. وهكذا تعلم عدة مهن في البناء والنجارة، التي تمكنه من كسب عيشه وأيضا من تكوين شخصيته.

في بداية الخمسينات، وبفضل روابط عائلية مع الأستاذ المرحوم إبراهيم كرزازي الذي يعتبر أحد رواد الطرب الغرناطي بوجدة، ومع المرحوم بلقاسم شكيب، وهو أيضا فنان كبير في مجال الطرب الغرناطي، سوف يلتحق بجوق السلام الذي أسسه الأستاذ إبراهيم الكرزازي والذي لم يكن مديره الفني سوى وراد بومدين.

تعلم في إطار هذه المجموعة قواعد الموسيقى ونمى معرفته الموسيقية، بفضل هؤلاء الأساتذة الاستثنائيين.

<<<

قويدر مهدي، أب محمد مهدي، هنا بورشته لصناعة آلة العود، حيث كون إبنه منذ نعومة أظافره

قويدر مهدي، الصانع الأول والوحيد للآلات الموسيقية بوجدة

<<< بطلب من أصدقائه في الفرقة الذين كانوا في حاجة لدرايته التقنية بالنجارة، كان قويدر مهدي يتكلف مرارا بإصلاح بعض الآلات الموسيقية المعطوبة إثر حادثة أو بسبب القدم. وهكذا بدأ تدريجيا في صنع آلات بنفسه. وقد بدأ أولا وبحذر في صنع العود، ثم الماندول.

بعد ذلك ببعض الوقت، بدأ في صنع آلة قرع تسمى التومبا، وتستعمل في الموسيقى الغيوانية. وهكذا وجد قويدر مهدي نفسه يصنع مختلف أنواع الآلات. وقد كان الصانع الأول والوحيد للآلات الموسيقية في كل جهة الشرق خلال الستينات والسبعينات.

قام أيضا بعرض إنجازاته في مختلف المعارض بفاس، الدار البيضاء، مكناس وأكادير، وكذا في مختلف المعارض المنظمة على صعيد مدينة وجدة.

مارس السيد قويدر مهدي هذه المهنة حتى وفاته سنة 1999 واستلم نجله محمد مهدي المشعل بعد ذلك.

جمعية خلود النسوية

تُعنى جمعية خلود النسوية بالطرب الغرناطي. وكما يدل على ذلك إسمُها، فهي تتميز عن باقي جمعيات مدينة وجدة التي لها نفس الغاية بكونها نسوية خالصة.

بالفعل، فهي الجمعية الوحيدة من نوعها بكل جهة الشرق التي كل أعضائها من النساء من مختلف الأجيال، والتي تتقن العزف على أهم الآلات الموسيقية المستعملة في هذا النوع الموسيقي، وتمتلك قواعد النوبة الغرناطية.
أَسَست هذه الجمعية مجموعة من النساء والفتيات الموسيقيات اللواتي تخرجن من الجمعية الإسماعيلية لموسيقى الغرناطي واللواتي كن تتقاسمن الشغف بهذا الشكل الموسيقي الأندلسي وتحدوهن الرغبة في إنشاء أول جمعية من هذا القبيل بجهة الشرق. تضم جمعية خلود حاليا إثني عشر عضوا. وترأسها غزلان سلامي التي تشغل أيضا مهام المديرة الفنية. تهدف الجمعية إلى تنمية الموسيقى الغرناطية والمحافظة عليها عبر تشجيع النساء والشابات بالخصوص المهتمات بهذا النوع من الموسيقى.

بالموازاة، تقوم الجمعية بتأمين أنشطة تكوينية لفائدة الأطفال والشباب (فتيان وفتيات) في مختلف الآلات الموسيقية المستعملة في الطرب الغرناطي كما تُدرس قواعد نوبات ومقامات الغرناطي.

شاركت الجمعية في العديد من الأحداث والسهرات على الصعيد الوطني، إضافة إلى العديد من التظاهرات، كالاحتفالات بمناسبة يوم المرأة، ومناسبة 100 موسيقي للغرناطي بوجدة، الخ. تعمل جمعية خلود النسوية منذ إنشائها على المحافظة وتثمين موروث الطرب الغرناطي ومن أجل نشره في أوساط الفتيات والنساء.

غزلان سلامي في حفل
مع المجموعة الموسيقية للجمعية

تستعد فنانات جمعية خلود النسوية لولوج مكان الحفل

الصناعات الثقافية، حامل جيد للتنمية الجهوية

الأستاذ الدز محمد
باحث في التراث الثقافي والتنمية
جامعة محمد الأول، وجدة

يعتبر الكاتب الموسيقى أداة للتنمية على صعيد الجهات كما على مستوى الأقطار. وهو يضع الإنتاج الموسيقي في منطق الصناعات الثقافية التي تستغله ويوضح، بدليل التجربة، بأن الثروات والاستخدامات تنتج عن تقييم أمثل لعمل الفنانين. وتفَحصُ المحيط الدولي يؤكد القوة الجهوية الكامنة... للطرب الغرناطي بالخصوص. والنجاح الاقتصادي يمر عبر تطور العقليات.

لفترة طويلة، كان يُنظر للتراث الثقافي اللامادي مثل الموسيقى الأندلسية فقط كموروث ينبغي الحفاظ عليه وناذرا كأداة للتنمية الاقتصادية مدرة للمداخيل والثروات. ومع ذلك، ومع ظهور مفهوم الصناعة الثقافية وتطور هذا المفهوم، فقد تغير الأمر كثيرا : فالتراث الثقافي أصبح مؤهلا اقتصاديا هاما وفرصة أكيدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية والترابية، خاصة بالنسبة للدول النامية.

ما هي الصناعات الثقافية اليوم ؟

تشمل الصناعات الثقافية عددا من القطاعات. وقد احتفظت منظمة اليونسكو بستة قطاعات هي :

- التراث الثقافي والطبيعي ؛
- فنون الركح والاحتفال ؛
- الفنون البصرية والصناعة التقليدية ؛
- الكتاب والصحافة ؛
- السمعي البصري والوسائط الرقمية ؛
- التصميم والخدمات الإبداعية.

توجد الصناعة الثقافية في نقطة تقاطع بين الاقتصاد والثقافة. وهي تمكن في نفس الوقت من خلق ثروات وكذا المحافظة على الثقافة والارتقاء بها. وهي تحمل «منتجات ثقافية» لها صبغة فنية أو / وثقافية وعليها أن تتجدد باستمرار. والخاصيات الرئيسية لهذه المنتجات هي الإبداع والأصالة من أجل الاستجابة لطلب يتطور غالبا بسرعة ويصعب كثيرا توقعه.

هكذا، وبفضل هذا الحقل الشاسع، تتوفر الصناعات الثقافية على خاصيتين اثنتين : فهي تدر ملايير الدولارات من المداخيل سنويا رغم ظرفيات اقتصادية صعبة كالأزمة الدولية. ومن جانب آخر، وبفضل الأفلام والبرامج التلفزيونية وإصدارات الكتب والإصدارات على شبكة الانترنيت، كما أنها تمكن المجالات الترابية من إشاعة ثقافتها وبالتالي تأمين حمايتها وتثمينها والارتقاء بها. ولا تقتصر أهمية الصناعات الثقافية فقط على قيمتها الاقتصادية، لكنها تحمل أيضا هويات وتقاليد ثقافية وقيما أخلاقية.

الصناعات الثقافية، خلافا للشعب الصناعية التقليدية، تمكن من التوفيق بين التنمية الاقتصادية وتثمين الثقافة والارتقاء بها. وبالفعل، تسمح المنتجات الثقافية من المحافظة والارتقاء بالتنوع الثقافي، في حين أنه، بالموازاة، يمثل إنتاج هذه المنتجات مصدرا لا يستهان به لخلق فرص الشغل والثروة.

ابتداء من الثمانينات، وبتعدد الدراسات والتحاليل حول العلاقة بين الثقافة والصناعة، وكذا إنشاء قواعد معطيات إحصائية حول المفهوم، وعت العديد من الدول المتقدمة بالإمكانات الكامنة ووضعت سياسات وبرامج

للارتقاء بهذا النشاط اعتبارا للانعكاسات الاقتصادية الضخمة ولفرص التنمية التي توفرها الصناعات الثقافية.

الصناعات الثقافية تساهم في التنمية

في هذا الاتجاه، أعد مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية عدة دراسات على الصعيد العالمي وأصدر تقريرين يشددان على أهمية الصناعة الثقافية في تنمية الاقتصاد العالمي. ويؤكد النمو الذي عرفته هذه الإنتاجات وانتشارها خلال السنوات الأخيرة على كون الصناعات الثقافية تمثل فرصة كبيرة بالنسبة للدول النامية التي تبحث على تنويع أنشطتها الاقتصادية والتي تحرص على التموقع في هذا السوق الذي يعتبر حاليا الأنشط في الاقتصاد العالمي.

بفضل تنمية الصناعات الثقافية، تعتبر الثقافة لأسباب متعددة أداة مثالية للتنمية الاقتصادية بالنسبة للعديد من الدول : أولا، فهي لا تتطلب استثمارات مكلفة أو معقدة الوضع بعكس الصناعات الأخرى، ثم هي تحتاج أساسا للقدرة على تعبئة الموارد الثقافية، وهو أمر في متناول الدول غير المصنعة. وحسب تقارير مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية، فإن الصناعة الثقافية تحتاج لقدر يسير من الدعم العمومي (في المتوسط 1,7% من الميزانيات)، لكنها تمثل 2 إلى 6% من الناتج الداخلي الخام للعديد من الدول. وتكمن الاستثمارات الضرورية لوضع الصناعة الثقافية، في البنيات التقنية إلى جانب التكوين وتعزيز قدرات الفاعلين في الصناعة الثقافية.
من جانب آخر، وبفضل الاستثمارات المنخفضة والوسائل المتطلبة، فإن هذه الصناعة في متناول الدول النامية، التي يكون مستواها الصناعي ضعيفا أو منعدما في الغالب. وقد تصبح بالنسبة للعديد من هذه الدول مصدرا هاما للتشغيل وللثروة، وتسمح مثلا باستقطاب

استثمارات كبيرة، لكن ثروات وفرص شغل محدثة

جزء من الكتلة المالية التي تدرها السوق العالمية الضخمة للصناعات الثقافية. إن الصناعة الثقافية هي حاليا من أهم الاقتصادات على الصعيد العالمي : إنه قطاع يعرف نموا مضطردا ويشهد دينامية قوية ونموا متواصلا منذ بروزه في الثمانينات.

من جانب آخر، فهو يعد من القطاعات الواعدة جدا من حيث خلق القيمة المضافة ومناصب الشغل، وخاصة بالنسبة للدول غير المصنعة والنامية. وحسب الإحصائيات التي وضعتها اليونسكو، يمثل هذا القطاع 3% من الناتج الوطني الخام العالمي بالنسبة للدول النامية. وهو يصل أحيانا إلى 7% بالنسبة للدول المتقدمة. وتتموقع هذه الصناعة في أيامنا كإحدى أقوى الصناعات على الصعيد العالمي.

في سنة 2015، بلغ رقم معاملات الصناعات الثقافية أزيد من 250 2 مليار دولار أمريكي عبر العالم، وهو دخل يفوق كثيرا دخل العديد من القطاعات الأخرى كقطاع الاتصالات.

الصناعات الثقافية تحدث الكثير من فرص الشغل المتنوعة

تتميز الصناعات الثقافية أيضا على صعيد التشغيل : فهي تعتبر من أفضل القطاعات من حيث التشغيل، حيث يبلغ عدد العاملين بها زهاء 49 مليون شخص عبر العالم، أي أكثر من قطاع المواصلات أو قطاع صناعة السيارات التي تشغل 25 مليون شخص، موزع بالخصوص بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان.

من جانب آخر، فهو من القطاعات التي توفر أكبر عدد من فرص الشغل بالنسبة للشباب الذين يقل عمرهم عن 29 سنة. وبالفعل، يمثل الأجراء ما بين 15 و29 سنة 19,1% في المتوسط من مجموع الأجراء : وهي نسبة أكبر من نسبة القطاعات الاقتصادية الأخرى.

إضافة إلى ذلك، تُدمج حِرَف الصناعات الثقافية أشخاصا من أعمار وحالات وتكوينات مختلفة وتساهم في تطوير التشغيل الذاتي والعمالة المستقلة وكذا بروز المقاولات الصغيرة جدا. كما أن الصناعة الثقافية تحفز إدماج النساء، أكثر كثيرا من القطاعات التقليدية، وتمثل بذلك فرصة لعمل النساء بالبلدان النامية، وبالتالي استقلالها المالي، كما تساهم في محاربة الفقر.

تؤثر الصناعات الثقافية إيجابيا على تنمية العديد من القطاعات الملحقة : إنه الحال بالنسبة للسياحة الثقافية، التي تدر عدة ملايير من الدولارات عبر العالم، أو الأحداث الثقافية التي تعتبر عامل اختيار للوجهة بالنسبة لـ 30% من السياح. كما تعتبر الصناعة الثقافية حافزا للاقتصاد على الصعيد العالمي، لأن توزيع المنتجات الثقافية يعد محركا للابتكار.

بفضل هذه الميزات، تحتل هذه الصناعة مكانة مهمة في سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، خاصة بالنسبة للدول النامية. ويبرر هذا الاختيار كون هذه الصناعة لا تتطلب استثمارات لأن معظم المنتجات الثقافية تعتمد بالأساس على الابتكار، حيث أن الإنتاج بذاته لا يكلف الشيء الكثير، إذا ما استثنينا قطاع السينما.

هذه الوضعية تحفز بروز مقاولات صغيرة جدا تشجع التشغيل الذاتي لدى الشباب والنساء، مع توزيع منصف للثروات وخلق مناصب شغل قارة. ومن جانب آخر، يمنح التصنيع ميزة لمحاربة العمل الموسمي.

بعد اجتماعي ومجتمعي وبشري وحتى سياسي

يحفز تصنيع الثقافة التنمية الاقتصادية ولكن أيضا التنمية الاجتماعية والبشرية.

بالفعل، وإضافة إلى القيمة المضافة الاقتصادية التي سمح بها تصنيع الثقافة، يلعب التصنيع دورا هاما جدا في الارتقاء بالثقافة بمختلف أشكالها وفي تقييمها، شريطة أن تكون المنتجات الناتجة عنها قابلة للتسويق بالطبع :

- تعزيز التماسك الاجتماعي بتعبئة المجموعات من أجل الحفاظ على الثقافة وتدبيرها ؛
- تدعيم الرصيد الاجتماعي للمجموعات ؛
- خلق شعور بالمسؤولية ؛
- إرساء الثقة بين أفراد المجموعات ؛
- تعبئة أهالي المجموعات المحلية للمشاركة في تنمية المجالات الترابية.

إضافة إلى ذلك، فإن الصناعة الثقافية تمثل ميزة كبيرة لإرساء التفاهم بين الثقافات والاعتراف بالاختلافات وكذا وسيلة لتفسير الأشكال المختلفة والممارسات الثقافية. كما تستطيع الصناعة الثقافية أن توفق بين الحفاظ والتقييم والارتقاء بالثقافة مع تنمية اقتصادية أكيدة، موازاة مع تجنب تدمير وتشويه بعض الأشكال الثقافية المهددة أو الهشة أحيانا، لا سيما في مواجهة ثقافات أخرى.

في الوقت الذي لا تتوافق فيه التنمية الاقتصادية لأنواع الصناعات الأخرى مع تعقد الواقع الاجتماعي والبشري وتهدد الهوية والقيم الثقافية، فإن تنمية الصناعة الثقافية تيسر التنمية البشرية بدرجة أولى وتعطي الأولوية للعامل البشري في مسارات وأهداف التنمية. وهو يسمح أيضا بترسيخ الهوية الثقافية، ويضمن حرية التعبير الثقافي، والكرامة الإنسانية والرفاهية.

تقييم ضعيف بالأقطار النامية

رغم الإمكانات الكامنة للصناعات الثقافية، ما زالت هذه الأخيرة مهمشة في سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية للعديد من الدول، وخاصة النامية منها وبشكل أخص بإفريقيا.

فحسب إحصائيات مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية، فإن حصة السوق الإفريقية في الاقتصاد الثقافي العالمي تمثل أقل من 1%، مع العلم بأن هذه السوق تتركز في بلدان شمال إفريقيا وبجنوب إفريقيا. وهذه الوضعية ناتجة بالأساس عن :

- ضعف الاستثمار في البنيات الأساسية المناسبة لوضع صناعة ثقافية ؛
- ضعف الوسائل اللازمة لتشجيع الابتكار؛
- غياب البنيات التحتية والكفاءات الضرورية لوضع المقاولات التي تمكن من استغلال المهارات وإبداع الفنانين.

تسبب هذه الوضعية هجرة المواهب نحو بعض البلدان الأوروبية والأمريكية الشمالية التي تشجع الإبداعات الفنية، بما فيها إبداعات الفنانين القادمين من الدول النامية. ومن جانب آخر، فإن دورة إنتاج، وتسويق وتوزيع الإنتاجات الثقافية غير كاملة بسبب صناعة ثقافية مجزأة. وعليه، فإن تسويق الإبداعات الثقافية والفنية بالأسواق الوطنية والدولية ضعيف جدا.

تسجل الصناعات الثقافية لأقطار إفريقيا والشرق الأوسط رقم معاملات سنوي يبلغ 58 مليار دولار، يهيمن عليه التلفزيون والفنون البصرية والصحف والمجلات المصورة. ومن حيث مناصب الشغل، تشغل الصناعات الثقافية في المتوسط 2,4 مليون شخص : وتعتبر السينما والموسيقى والتلفزيون، من أهم القطاعات.

ماذا يمكن لجهة الشرق أن تنتظره من الصناعة الثقافية وبأية شروط ؟

تلاحظ وضعية الصناعة الثقافية هذه بالنسبة لمختلف أشكال الموروث الموسيقي والفني بجهة الشرق، وخاصة بالنسبة للطرب الغرناطي. وبالفعل، ورغم العدد الهام للجمعيات المهتمة

بهذه الموسيقى، فإن نموها يتعثر سواء وطنيا أو على الصعيد العالمي، من جهة، بسبب ضعف الاهتمام، خاصة من طرف الشباب، ومن جهة أخرى، لأن القليل من الأشخاص يعتمدون على هذا الطرب كمصدر رئيسي للدخل : فغالبية فناني الغرناطي بالشرق المغربي لهم مهن ومصادر دخل أخرى ويمارسون إذا هذه الموسيقى أساسا بسبب عشقهم وشغفهم بهذا الموروث التراثي.

يسجل أيضا نقص في البنيات الأساسية. وبالفعل، فإن مدارس التعليم توجد أساسا بالجمعيات التي لا تتوفر على أماكن ملائمة للممارسة الموسيقية وحتى لتمارين المجموعات الموسيقية. ومن جهة أخرى، نلاحظ أيضا غياب مقاولات مهتمة بالطرب الغرناطي، لأن غالبية الفرق الموسيقية تنتظم على شكل جمعيات.

لا تشجع هذه الوضعية على الإبداع في النوبة الغرناطية، ويؤثر سلبا على تنمية هذا

التيار الموسيقي، مما يمثل تهديدا على صعيد الحفاظ عليه وتثمينه.

هذا النقص ينعكس أيضا على عدد الأحداث والتظاهرات الذي يظل محدودا والتي غالبيتها مهرجانات وأمسيات موسيقية. وفي هذا الاتجاه، نلاحظ أيضا نقصا كبيرا في إنتاجات الغرناطي على الحوامل العادية وبشكل أقل على الحوامل الرقمية الحديثة (أقراص مدمجة، علب مجموعات، الخ.).

من الأساسي حاليا اعتبار الصناعات الثقافية في مختلف الرؤى والمساعي الرامية إلى تقييم وتنمية الطرب الغرناطي بفضل الفرص الكبيرة التي توفرها هذه الموسيقى من حيث النمو الاقتصادي والاجتماعي، ونقص البطالة خاصة بالنسبة للشباب والنساء وتشجيع التشغيل الذاتي. ومن جانب آخر، ينبغي بذل جهود مشتركة بين الفاعلين العموميين والخواص لتنمية المكونات المختلفة للصناعة الثقافية : التربية والإبداع والإنتاج والتوزيع والاستهلاك.

من جهة أخرى، من المهم تشجيع تنمية المقاولات الثقافية وتحويل الجمعيات الموسيقية إلى مقاولات بواسطة مختلف التدابير كدعم المقاولات الصغيرة جدا والمقاولات الفردية عبر التمويل الصغير وكذا امتيازات ضريبية. ويجب أن يواكب هذه الإجراءات دعم للفنانين وللفنون عبر تعزيز القدرات التقنية والمقاولاتية وكذا بواسطة تشجيعات لتنمية القطاع الخاص.

إن إدماج الطرب الغرناطي في الصناعات الثقافية قد تمكن من التوفيق بين التنمية الاقتصادية المرغوبة بإلحاح والتنمية البشرية. وإن بروز موسيقى تستند على هذه الأسس ستؤمن خلق الثروات، وتشجيع أنشطة اقتصادية، موازاة مع ضمان تنمية اجتماعية ومساهمة حاسمة في المحافظة على هذا التراث الثقافي اللامادي الفذ وتقييمه.

الطرب الغرناطـي، سمة تهم تسويق الصورة الجهوية

فيليب ميشيل
مدير إبداع
مستشار في التواصل

المتواصل معتاد على الاستراتيجيات الجهوية وعلى الدور الذي ينبغي أن تلعبه مختلف أشكال التراث. والموسيقى فن، ولكن أيضا وسيطة إعلامية وأداة حاملة للصورة ووسيلة للتعريف وللاجتذاب وللتموقع مقابل جماهيرها. ومن هذه الزاوية، يمكن للطرب الغرناطي أن يمنح للجهة أكثر من المتعة والترفيه.
من الثقافة عموما إلى الموسيقى خصوصا، استعراض للمقاربات التي تبني الصورة، ومنها بالأساس الصورة الصوتية.

تسويق

المجال الترابي، هو أولا غرسه في ذهن أولائك الذين نريد أن نبلغهم شيئا ما أو الذين ننتظر منهم قرارا إيجابيا، سواء تعلق الأمر بالإقامة خلال العطلة أو للاستثمار، مثلا. إذا كيف «نكون» ؟
أو أيضا، كيف نكتسب شهرة مدللة بصورة جذابة، إيجابية وممتعة.
إن إحدى الطرق لبلوغ ذلك هي بالتأكيد ربط إسم المجال الترابي بأشياء تثير بالتحديد الاهتمام وترضي مستهدَفي عملية التواصل.
حينما نتوجه إلى عدد كبير من السكان، فإن الرياضة تكفي في أغلب الأحيان : قريبا من المغرب، هناك إسبانيا التي تبرز ذلك بواسطة فريقين كبيرين يتمتعان بسمعة دولية، مدريد وبرشلونة. وقد نجحت هاتان المدينتان فيما يصعب على باريس القيام به.
يعطي فن الطبخ أو الذواقة حلولا تحيل إلى مجالات ترابية ومنتجات استثنائية. وهكذا، فإن بوردو بفرنسا ترتبط بنبيذها وبكل ما يحوم في محيطه : إنها قاعدة جيدة لبناء صورة. وهناك مكونات تراثية أخرى قد تشكل قاعدة لبناء صورة المجال الترابي، لكن وبما أنه يتعذر جردها كلها ولحاجة هذا المقال، سننتقل مباشرة إلى البعد الثقافي.

الثقافة، قاعدة مؤسسة لصورة المجال الترابي

من يهتم بتاريخ المدن يتذكر بأن ماناوس، المدينة البرازيلية لمنطقة الأمازون، انتقلت في سنوات قليلة من حالة بلدة صغيرة نمت في ظل حصن برتغالي، إلى مستوى مدينة أخطبوطية بفضل استغلال شجر المطاط. ورغبة في زرع الروح في هذه المدينة، أقام مسؤولوها نسخة طبق الأصل لدار الأوبرا بباريس، حيث استدعي كبار المغنين : من 1890 إلى 1911، أصبحت المدينة مشهورة على الصعيد العالمي بفضل هذه المعلمة.

دارا الأوبرا لماناوس (أعلاه) وسيدني (أسفله)

في تاريخ أقرب، قام منتخبو مدينة سيدني الأسترالية بنفس الاختيار : فمن مدينة دون شخصية متميزة مقابل

منافساتها مدينتي بورث وملبورن، أضحت مدينة شهيرة بفضل دار الأوبرا التي تتميز بأصالة معمارية باهرة، لتتحول إلى المركز المالي الأول بأوقيانيا، والمدينة الأكثر سكانا وحيوية بأستراليا، وبصورة من الصنف الأول.

يمكننا أن نعدد أمثلة المدن التي أعطت الانطلاقة أو أعادت إعطاء الانطلاقة لصورتها وصيتها بفضل منجز ثقافي كبير واستقطبت حوله استثمارات كبيرة يختلف نوعها تماما، في مجال الصناعة، أو الخدمات أو السياحة. ولن يستغرب أحد كون العديد من دول الخليج تقيم اليوم تجهيزات ثقافية، كالمتاحف، كما هو الأمر في أبو ظبي. لنتذكر أن مدينة بلباو الباسكية الاسبانية، التي كانت تعرف انحدارا اقتصاديا في كل المجالات قبل بضع سنوات، استطاعت أن تنطلق مجددا وتنعش جاذبيتها وتعيد بناء صورتها بفضل إنجاز متحف كوكنهايم. والأمثلة عديدة.

المتاحف ودور الأوبرا، وغيرها، هي إذن رافعات قوية لبناء صورة مميزة واكتساب شهرة. ومن يقول أوبرا، يقول موسيقى وإنشاد : وهما مكونان ثقافيان نبيلان في الأذهان. وهذا ما يقربنا من الغرناطي.

ماذا تعني علامة ترابية ؟

هي أولا علامة. هذا يعني شخصية، وقيم، وما نسميه سمات، إضافة إلى حقيقة العرض الترابي. ما هي سمات العلامات الترابية أو المجالية ؟ للتبسيط نقول أنها الخاصيات التي لها حظوظ كبيرة لكي يتم التفكير فيها إيجابيا. لنأخذ علامة مجالية معروفة جدا : باريس، إذا قلنا برج إيفل، فالكل يفكر في باريس، والعكس صحيح.

بالنسبة للسينما، نفكر للوهلة الأولى في هوليود، بوليود أو كان. السمات تدل على المجال وترتبط به في الذاكرة والمخيلة الجماعية.

متحفا كوكنهايم ببلباو (أعلاه) وأبو ظبي (أسفله)

وهكذا، بالمغرب، ترتبط الرباط بصومعة حسان، وبصورة تتزايد يوما بعد يوم بجسر محمد السادس الكبير المعلق. الدار البيضاء بمسجد الحسن الثاني الكبير. مراكش بصومعة الكتبية وواحة النخيل. مرزوكة بالكتل الرملية. ورزازات باستوديوهات السينما، الخ. والعلامة تنتج بجزء كبير عبر هذه السمات وهذه السمات تصنع العلامة. وبإمكان هذه السمات أن تكون مادية، ولكن أيضا أن تعود لقيم معنوية أو فلسفية وحتى سياسية وطبعا روحية، على غرار الأماكن المقدسة لمختلف الديانات.

يمكن للسمات أن تضعف وتفقد جاذبيتها. فعلى العلامات الترابية أن تقوم بعمليات حقيقة للمحافظة على سماتها وصيانتها، أو تقرر- إذا كان بالإمكان- تجديدها، أو تضاف إليها سمات أخرى انطلاقا من السمات القائمة سابقا. حقبة الستينات والسبعينات سجلت ذروة العلامة الترابية «كاتماندو»، المكللة بتدين هندوسي وبودي الذي كان يفتن وقتها حركة الهيبيز، وهي الموجة العارمة التي كانت تجتاح الغرب وتطبع كل الفنون. لم يبقى تقريبا أي شيء عن هذه الشهرة.

إن تسويق التراب، هو أيضا - وهو شرط ضروري لكنه غير كاف - اختيار سمات حاملة، ولو لفترة، والتي تؤدي إلى نتائج توافق تطلعات أصحاب القرار.

أي دور للموسيقى في التسويق الترابي ؟

من يستمع إلى النغمات الأولى لسيرة مندلسون دون أن يفكر في حفل قران؟ نفس الشيء بالنسبة للمنشار الموسيقي في معزوفة «تنوبي الجميل» بالنسبة لتابعي بابا نوويل. نحن إذا نمتلك حفنة من الأنغام الموسيقية وحتى لو لم تكن نابعة من ثقافتنا، فإن القوة الناعمة استطاعت غالبا في النهاية أن تفرضها علينا. ثلاث نغمات تجعلنا ننتظر تلقائيا إعلانا من المكتب الوطني للسكك الحديدية...

وهل من اللازم أن نشير إلى الأغاني والموسيقات الإشهارية ؟

الأمر واضح، لقد استطاعت علامات مختلفة كثيرا ربط منتجاتها أو / وخدماتها بسمة صوتية. فهناك إذا تسويق صوتي، كما يوجد تسويق عن طريق الشم بواسطة أريج العطور التي تضعه بعض المحلات التجارية (وخاصة السلاسل الكبرى). إذا، هناك موسيقى تكون جزءا من المناخ العام ترتبط بالعلامة، فهي سمة بالنسبة لها والتعاطف التي تحدثه هذه النغمات، ميزة لتحفيز الجاذبية والرغبة في الاستهلاك.

ما هو الحال بالنسبة للمجالات الترابية ؟ لنبدأ بالدول : بعد أن كانت موجهة للآلهة في العالم القديم، أصبحت الأناشيد سمة لعلامة الدول. فهي لا تشير فقط إلى البلدان التي تمثلها، وإنما تحمل القيم التي يعتزم كل قطر إبرازها. وليس من قبيل الصدفة حينما يحدث تغيير (ناذر)، فهو يتصادف عموما مع تموقع متغير جذريا، وبالتالي صورة وطنية وعالمية ينبغي تجديدها كليا. كما أن هناك بلدان تحملها موسيقات لا علاقة لها بالنشيد الوطني. وهكذا، فإن جزيرة جامايكا تشتهر عالميا بموسيقى الريكي منذ نهاية الستينات.

هذه الجزيرة أصغر تسع مرات من جهة الشرق، وتاريخ الريكي هو في الواقع تاريخ موسيقى جهوية تغزو العالم، في حين أن أشكالا أخرى كانت تزاحمها مجالها الأصلي.
جاميكا والريكي يجعلانا كلاهما نفكر دون أي تردد بسمة دائمة لعلامة ترابية.

أي علامة بالنسبة لجهة الشرق ؟

لقد اكتسب نوعان من الموسيقى إشعاعا عالميا ويضمان في الجهة العديد من الهواة: الراي والغرناطي. ولكلاهما عمقهما التاريخي واكتسبا طابعا تراثيا. ويستفيد كلاهما من مهرجان شهير جدا داخل وخارج الجهة، ويحظيان بدعم من وكالة جهة الشرق التي تشجع أيضا أشكال موسيقية أخرى نشأت بالجهة ومازالت تمارس بها (انظر المؤطر المرفق)، لأنه جزء حي من تراثها المسموع.
وتحديدا، فقد سبق للوكالة أن استعملت التراث الموسيقي للمجالات الترابية لجهة الشرق.
لقد كان ذلك منذ عقد تقريبا وكان الأمر يتعلق باعتماد فكرة أن الجهة في حالة تغيير: كانت تجري تجهيزات هيكلية وشكل الاقتصاد الجهوي (وبالتالي مستوى نموه) كان سيعرف تغييرا عميقا.

وهذا «الوعد» (بالمعنى التواصلي) كان مبنيا عل واقع الأوراش القائمة وتأكد باكتماله. ولكن كان هناك نوع من «الوعد الموازي» الذي كان يتمثل في القول بأن الجهة، وقيمها، وكل ما يشكل الروح الثقافية وخصوصيتها، سيتم الاحتفاظ بها، إن لم نقل تقييمها. وقد تكفلت الموسيقى أو بالأحرى الموسيقات الجهوية، بشكل واسع، بحمل هذا الخطاب المتعلق باستمرارية الهوية. وهكذا كانت صور الحداثة المفعلة تمرر بواسطة أنغام تقليدية نابعة من المجالات الترابية. فالأفلام الوثائقية بالنسبة لـ«علامة الجهة»، والإعلانات التلفزيونية والإذاعية، والكبسولات الإعلانية على الشبكة، تمثل تحالف الصورة التي تتميز بحداثة مطلقة مع صوت تقليدي كامل، كرس خطاب جهة في تحول عميق متحكم فيه.
كل هذا أصبح من الماضي وهذا التواصل لم تعد له الأولوية. وقد انطلق جيل جديد من المشاريع وفكرة التغيير المرتبط بالمحافظة على التراث لم يعد من الضروري تسويقها. وفي غياب الاستثمارات، عادت الأشكال الموسيقية الجهوية إلى المهرجانات، ومواقع العروض، وتستجيب لانتظارات الهواة عبر تسجيلات ذات التوزيع المحدود.

إحدى صور افتتاح الشريط التعريفي للجهة سنة 2008 :
لقطة بعد لقطة، التصوير الصوتي يعبأ الأشكال الموسيقية الجهوية

الأشكال الموسيقية الجهوية تحظى بتقييم بجهة الشرق

تدعم وكالة جهة الشرق العديد من التظاهرات العمومية المهتمة بتقييم أشكال التراث الموسيقي للمجالات الترابية لجهة الشرق. ومن بين هذه التظاهرات :

- المهرجان الدولي للراي (وجدة) ؛
- المهرجان المتوسطي (الناظور) ؛
- المهرجان الجهوي للفنون الشعبية لجهة الشرق (وجدة) ؛
- مهرجان السياحة الجبلية لبني تادجيت (فجيج) ؛
- مهرجان كاران بوجدة ؛
- مهرجان أحيدوس بتلسينت ؛
- مهرجان ملتقى موسيقى الشباب (وجدة) ؛
- المهرجان الدولي لثقافة الواحات لفجيج ؛
- مهرجان ثقافات الرحل وتراث الواحات (بوعنان وعين الشواطر) ؛
- مهرجان الناي والفنون البدوية لبوعرفة ومهرجان أحيدوس ؛
- مهرجان العلاوي (دبدو) ؛
- مهرجان المنكوشي لتاوريرت.

الطرب الغرناطي، هل هو حامل صوتي لـ «علامة الجهة» للشرق المغربي ؟

إذا كانت الجهة، عبر مؤسساتها المجتمعة من أجل ذلك، ستضع تواصلا للصورة والصيت متفق عليه ومتحفزة على هذه الأهداف، أي ما نسميه إستراتيجية للتواصل، فأي موسيقى سوف تختار لتحمِل هويتها ؟
هذا المسعى الاستراتيجي ما زال يحتاج إلى تحديد وتفعيل كما أظهرته ندوة ماي 2016، ولكن في سمات علامة الجهة التي قد يتم تحديدها يوما ما، فسيكون للغرناطي كل الحظوظ لكي يتم اختياره كطابع هوياتي، وكمكون للشخصية الجهوية التي يتم عرضها على باقي العالم.

عن الموسيقى والتشغيل والمقاولات...

أجراء شباب وحاملون لشهادات عليا

مع إضفاء طابع لا مادي الحوامل، انتقلنا من "الصناعة الفونوغرافية" إلى "الصناعة الموسيقية"، حيث أن المقاولات أصبحت تدمج سافلة الإنتاج، بما فيها العروض الحية. وقد أصبحت الصناعة الموسيقية أحد "أسواق" "الصناعات الثقافية"، وأضحت محركا معترف به في الاقتصاديات العصرية لقرننا الحالي.
لقد تحولت كثيرا طبيعة الشغل دون أن ينهار.

مناصب شغل عديدة وغير قابلة للنقل لأماكن أخرى

النموذج الفرنسي يدعو للتفكير:
• الصناعات الثقافية تتجاوز قطاع السيارات وتقترب من قطاع الاتصالات ؛
• تمثل هذه الصناعات 1,3 مليون منصب شغل، منها حوالي 242 000 منصبا بالنسبة للموسيقى وحدها، ما يمثل 5% من التشغيل الداخلي بفرنسا.

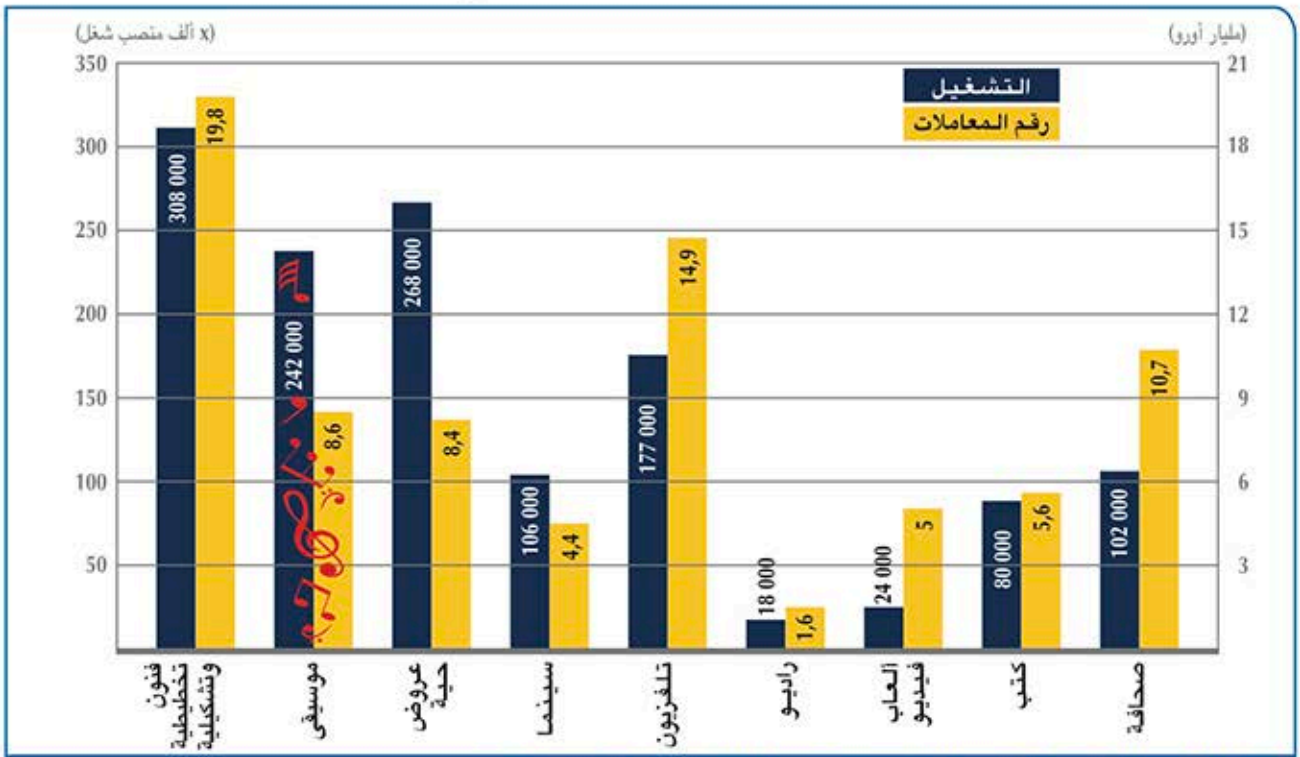

رقم المعاملات والتشغيل بالصناعات الثقافية بفرنسا سنة 2013 : ثقل الصناعة الموسيقية

خاصيات التشغيل في الصناعة الموسيقية :
• قرابة 2 من 3 أجراء يقل عمرهم عن 40 سنة و20% أقل من 30 سنة ؛
• حوالي ربع الشغيلة من النساء ؛
• المأجورون يتوفرون على مستوى تعليمي مرتفع جدا (8% إلى 10% يحملون شهادة سلك ثالث جامعي على الأقل).
خاصيات مقاولات الصناعة الموسيقية :
• أكثر من 9 مقاولات من 10 تشغل ما لا يزيد عن 10 أجراء، والقطاع مكون عموما من نسيج كثيف للمقاولات الصغيرة جدا.

تحدث الموسيقى عبر العالم فرص شغل أكثر من حصتها في رقم معاملات الصناعات الثقافية. وجداول النموذج الفرنسي تظهر ذلك بوضوح. وبالتالي، فإن الموسيقى نجحت في تحقيق تحد مدهش :
• تحديث سريع جدا وإضفاء طابع لا مادي أقوى مقارنة مع قطاعات أخرى مكنها من أن تصبح رقمية ومتنقلة ؛
• ما زالت تواصل خلق فرص شغل (4 ملايين على مستوى العالم، من مجموع 30 مليون تسند للصناعات الثقافية) لتجعل من الموسيقى المشغل الثاني ضمن الصناعات الثقافية العالمية ؛
• تتجدد باستمرار (59 مهنة محددة حاليا).

مقال لهيئة التحرير – المصادر الرئيسية : اليونسكو، جمعية كتاب ومؤلفي وناشري الموسيقى، المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية، المجلس الأوروبي

تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس

آداب مغاربية

ⵜⵉⵎⵓⵔⵉⵜⵉ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ ⴰⵣⵔⴼⴰⵏ

LETTRES DU MAGHREB

المعرض المغاربي للكتاب

تحت شعار

لنعبر عن الشباب، لنكتب الأمل

من 21 شتنبر إلى 24 شتنبر 2017، احتضنت وجدة المعرض المغاربي للكتاب، الذي عرف مشاركة 200 مثقفا وحضور 43.000 زائرا في دورته الأولى.

وعلى هامش ذلك، أقام المعرض، التي تدعمه الهيئات الوطنية والجهوية ودور النشر والعديد من الشركاء، 10 عروض، ومعرضا للفنون التشكيلية، وحفلات تكريم وتوقيعات وغيرها من الأنشطة.

وقد كانت جمهورية السنغال ضيف الشرف لهذه الدورة.

كل المعلومات متوفرة على موقع
www.lettresdumaghreb.com

وكالة جمة الشرق

13 زنقة محمد عبدو، 000 60 - وجدة
الهاتف : 68 58 70 36 5 (212+) • الفاكس : 52 58 70 36 5 (212+)
الموقع الإلكتروني : www.oriental.ma